جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

السلق والبسط بالألسنة في القرآن الكريم دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي

The Boiling And Spreading Of Tongues In The Holy Quran, An Analytical Study In The Light Of Psycholinguistics

إعداد

د. هبه عمر راشد حسن

مدرس بقسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، جامعة الأزهر بالقاهرة، مصر

(العدد الثالث والأربعون)

(الإصدار الرابع-نوفمبر)

(الجزء الثاني (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٤/٦٢٧١م

السلق والبسط بالألسنة في القرآن الكريم دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي

هبه عمر راشد حسن

قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، جامعة الأزهر بالقاهرة، مصر.

البريد الإلكتروني: *Hebahassan2399.el@azhar.edu.eg*

الملخص

تهدفُ هذه الدراسة إلى رصد الدلالات اللغوية والنفسية في آيتي السلق والبسط بالألسنة في القرآن الكريم، وهما آفتان من آفات اللسان اللتان تشكلان خطرًا على الفرد والمجتمع، فهما يؤديان إلى قطع الصلات والتواصل بشتى أنواعه.

وقد مهدت لهذا البحث بتعريف كل من اللسان كجارحة لها قوتها في النطق والتعبير؛ ثم التعريف بالسلق والبسط – ثم علم اللغة النفسي، وقد ركز هذا البحث على دراسة الدلالات الصوتية والصرفية والتركيبية للوصول إلى الدلالات النفسية، والربط بين ما في الآيات الكريمة من بنى لغوية (صوتية – وصرفية – وتركيبية) وبين البُعد النفسي.

وكان من النتائج التي أسفر عنها البحث :

-أن اللغة هي المرآة الصادقة للنفس البشرية وما يعتريها من انفعالات وحالات تختلف باختلاف الأحوال والظروف المحيطة بالإنسان.

-أنَّ استعمال القرآن الكريم للفظ السلق باللسان مع المنافق يتناسب مع الانفعالات النفسية التي تتعلق به، بينما استعماله للفظ البسط باللسان مع الكافر يتناسب أيضًا مع الطبيعة النفسية له .

الكلمات المفتاحية: الألسنة، السلق، البسط، علم اللغة النفسي.

The Boiling And Spreading Of Tongues In The Holy Quran, An Analytical Study In The Light Of Psycholinguistics

Heba Omar Rashed Hassan
Department of Fundamentals of Language, Faculty of Islamic and Arabic Studies , Girls, Cairo.

Email*: Hebahassan2399.el@azhar.edu.eg*

Abstract*:*

This study aims to monitor the linguistic and psychological connotations in the verses about boiling and spreading with tongues in the Holy Qur'an, which are two scourges of the tongue that pose a danger to the individual and society, as they lead to the severing of ties and communication of all kinds. I paved the way for this research by defining the tongue as a predator that has its power in speech and expression. Then the definition of syllabus and simplification - then psycholinguistics. This research focused on studying the phonetic, morphological, and syntactic connotations in order to arrive at the psychological connotations, and linking the linguistic structures (phonetic - morphological - and syntactic) in the noble verses with the psychological dimension.. Among the results of the research were: -Language is the true mirror of the human soul and its emotions and states that vary according to the conditions and circumstances surrounding the person.. -The Holy Qur'an's use of the word "slaying with the tongue" with the hypocrite is proportional to the psychological emotions that relate to him, while its use of the word "slaying with the tongue" with the infidel is also proportional to his psychological nature.

Keywords: *Tongues , Boiling , Expansion, Psycholinguistics*

مقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم تنزيله﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر :٩]، والصلاة والسلام على السراج المنير سيدنا محمد النبي الأمي أَفْضَل خَلْقِه، وأَكْمَل عباده أفصح من نطق العربية، وعلم لغتها، فأعجز كل فصيح، وأعيا كل بليغ- صلى الله عليه وسلم- تسليمًا كثيرًا وعلى آله وذريته وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمـــا بعـــدُ،،،

فإنَّ اللسان من أعظم النِّعم التي أنعم الله بها على الإنسان، حتى يكون له أداةً للتعبير عن مكنونات نفسه ومتطلباته واحتياجاته؛ إلا أنَّ هذا اللسان مع ما له من منافع، فله آفاتٌ وأضرار تؤدي بصاحبه إلى مدارك الهلاك؛ لذا أمرنا الله (ﷻ) بصونه عن قبيح الكلام، فاللسان قد يرفع صاحبه إلى أعلى المراتب والدرجات في الدنيا والأخرة، وقد يهوي به إلى الهاوية، ومن النعيم إلى الجحيم ؛ لذا حذرنا النبي الكريم(ﷺ) من مخاطره حيث قال: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّـهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّـهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[1] وقال النبي(ﷺ) أيضًا: «هَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»[2]

---

(١) صحيح البخاري-لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي-تح:محمد زهير بن ناصر الناصر٨/١٠١/ح٦٤٧٨-دار طوق النجاة-ط:الأولى، ١٤٢٢هـ

(٢) سنن ابن ماجه-لابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت:٢٧٣هـ)-تح:محمد فؤاد عبد الباقي٢/١٣١٤/ح٣٩٧٣-دار إحياء الكتب العربية-فيصل عيسى البابي الحلبي-(د-ط-ت)

فاللسان ترجمان القلب ومرآة النفس، له ما له من قوة التأثير على المتلقي، ولعل أبرز ما يدل على ذلك ما روي في الأثر حيث أخبر " أَبُو الْأَشْهَبِ جَعْفَرُ بْنُ حَيَّانَ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: كَانُوا يَقُولُونَ: «إِنَّ لِسَانَ الْحَكِيمِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ يَرْجِعُ إِلَى قَلْبِهِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ قَالَ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ، وَإِنَّ الْجَاهِلَ قَلْبُهُ فِي طَرَفِ لِسَانِهِ، لَا يَرْجِعُ إِلَى الْقَلْبِ، فَمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ تَكَلَّمَ بِهِ»، وَقَالَ أَبُو الْأَشْهَبِ: كَانُوا يَقُولُونَ: «مَا عَقَلَ دِينَهُ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ لِسَانَهُ» [(١)]

ونظرًا لما للسان من آفات عظيمة الخطر شديدة الضرر على الإنسان والمجتمع آثرت أن ألقي الضوء على آفَتَيْنِ من آفات اللسان اللتين أشار إليهما القرآن الكريم وهما آفاتا السلق والبسط بالألسنة محاولة الكشف عن العلاقة الوثيقة بين اللغة والنفس البشرية؛ لذا آثرت أن يكون موضوع بحثي هو:(السلق والبسط بالألسنة في القرآن الكريم دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي).

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية الموضوع في الوقوف على إيثار القرآن الكريم لألفاظ بعينها تعبرُ أشدَّ تعبير عن النفس البشرية وما يعتريها من الانفعالات المختلفة .

أسباب اختياري هذا الموضوع.

١- الرغبة في خدمة كتاب الله -عز وجل-.

٢- محاولة فهم معاني القرآن الكريم وتدبر آياته من خلال دراسته في ضوء علم اللغة النفسي.

تساؤلات يجيب عنها البحث :

١- ما المراد بالسلق والبسط بالألسنة في القرآن الكريم؟

---

(١)الزهد والرقائق لابن المبارك (ت:١٨١هـ)-تح : حبيب الرحمن الأعظمي صـ١٣١/ح٣٩٠-دار الكتب العلمية – بيروت-(د-ط-ت)

٢- ما السر في استعمال القرآن الكريم للفظ السلق باللسان مع المنافق، واستعمال البسط باللسان مع الكافر؟ وهل لذلك علاقة بالطبيعة النفسية لكليهما؟

المنهج المتبع في الدراسة :

اعتمد البحث على المنهج الوصفي الذي يتتبع النص اللغوي، ويحلله إلى عناصره الأولية، باستخدام أداتيه الاستقراء والتحليل.

وقد ركز البحث على دراسة الدلالات الصوتية والصرفية والتركيبية للوصول إلى الدلالات النفسية، والربط بين ما في الآيات الكريمة من بنى لغوية (صوتية – وصرفية – وتركيبية) وبين البُعد النفسي.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة ثم ثبت المصادر والمراجع.

التمهيد: وعنوانه: مصطلحات في البحث (التعريف والمفهوم)

أولا: التعريف بالألسنة– السلق – البسط

ثانياً: التعريف بعلم اللغة النفسي– مجالاته وأهدافه

المبحث الأول: السَّلق بالألسنة في القرآن الكريم دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي، ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الدلالة الصوتية في ضوء علم اللغة النفسي.

المطلب الثاني: الدلالة الصرفية في ضوء علم اللغة النفسي.

المطلب الثالث: الدلالة التركيبية في ضوء علم اللغة النفسي.

المبحث الثاني: البسط بالألسنة في القرآن الكريم دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي. ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الدلالة الصوتية في ضوء علم اللغة النفسي.

المطلب الثاني: الدلالة الصرفية في ضوء علم اللغة النفسي.

المطلب الثالث: الدلالة التركيبية في ضوء علم اللغة النفسي.

ثم الخاتمة وبها أهم نتائج البحث .

وفي ختام هذه المقدمة أشكر الله – عز وجل – أولاً وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا على تيسيره وعونه في إتمام هذا البحث، والله أسأل جلَّ وعلا أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع بهذا العمل كل من قرأه أو اطلع عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

مصطلحات في البحث

(التعريف والمفهوم)

أولا: التعريف بالألسنة– السَّلق– البسط :

أ- التعريف بالألسنة:

يدور المعنى المحوري لمادة (ل س ن) حول جارحة اللسان، وما يصدر عنها من القول حيث ذهب ابن فارس إلى أن "اللَّام وَالسِّين وَالنُّون أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى طُولٍ لَطِيفٍ غَيْرِ بَائِنٍ، فِي عُضْوٍ أَوْ غَيْرِهِ. مِنْ ذَلِكَ اللِّسَانُ، مَعْرُوفٌ، وَهُوَ مُذَكَّرٌ وَالْجَمْعُ أَلْسُنٌ، فَإِذَا كَثُرَ فَهِيَ الْأَلْسِنَةُ."[1]

وقال الراغب:" اللِّسَانُ: الجارحة وقوّتها، وقوله:﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ ﴾ [طه: ٢٧] يعني به من قوّة لسانه، فإنّ العقدة لم تكن في الجارحة، وإنما كانت في قوّته التي هي النّطق به."[2]

ومما سبق يتبين أن اللسان يدور معناه اللغوي حول كونه جارحة لها قوتها أي ما يصدر عنه من القول .

ب: التعريف بالسَّلق :

ذهب ابن فارس إلى أن:" السِّين وَاللَّام وَالْقَاف فِيهِ كَلِمَاتٌ مُتَبَايِنَةٌ لَا تَكَادُ تُجْمَعُ

---

(١) مقاييس اللغة – لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت: ٣٩٥هـ)– تح: عبد السلام محمد هارون ٢٤٦/٥(ل س ن)– دار الفكر–١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م–

(٢)المفردات في غريب القرآن– للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)–تح : صفوان عدنان الداودي صـ٧٤٠(ل س ن)– دار القلم، الدار الشامية– دمشق بيروت– ط: الأولى – ١٤١٢ هـ

مِنْهَا كَلِمَتَانِ فِي قِيَاسٍ وَاحِدٍ... منها سَلَقَ: صَاحَ. وَالسَّلِيقَةُ: الطَّبِيعَةُ." (١)

قال الخليل: "سَلقتُه باللسان: أسمعته ما كره فأكثرت عليه. ولسان مِسْلَقٌ: حديد ذلق." (٢)

وذهب الأزهري إلى أن:" السَّلْق: مصدر شدّة القَوْل بِاللِّسَانِ سلقه يسلُقه سَلْقًا، وَمِنْه قَوْله جلّ وعزّ:﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ [الأحزاب: ١٩]، بِالسِّين وَالصَّاد(٣)، وَالسِّين أَعلَى." (٤) وقال الثعالبي : إذا كان الرجل " حَادَّ اللِّسانِ قادِرًا عَلَى الكَلاَم فَهُوَ ذَرِبُ اللّسانِ وفَتِيقُ اللِّسانِ. فإذا كَانَ مَعَ حِدَّةِ لِسَانِهِ بَلِيغًا فَهُوَ مِسْلاق." (٥)

---

(١) مقاييس اللغة ٣/ ٩٦(س ل ق)- آثرت تقديم ابن فارس على غيره من العلماء وإن كانوا سابقين له عند ذكر الأصل اللغوي ؛لأنه هو صاحب هذه النظرية

(٢)العين-لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)- تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ٧٦/٥(س ل ق)- دار ومكتبة الهلال-(د-ط-ت)

(٣) قرأ أبو المليح الهذيلي " صلقوكم " بالصاد." الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها -لأبو القاسم الهُذَلي اليشكري المغربي (ت: ٤٦٥هـ)- تح: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب صـ٩٨- مؤسسة سما للتوزيع والنشر- ط: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م- كما جاء في روح المعاني:" قرأ ابن أبي عبلة «صلقوكم» بالصاد." روح المعاني للألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)-تح: علي عبد الباري عطية ١٦٣/١١ -دار الكتب العلمية – بيروت- ط: الأولى، ١٤١٥ هـ. - وقد ذهب ابن قتيبة إلى أنه "لا يُقْرأُ بها." غريب القرآن لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)- تح: أحمد صقر صـ٣٤٩ - دار الكتب العلمية - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

(٤) تهذيب اللغة-لأبي منصور الأزهري الهروي (ت:٣٧٠هـ) تح:محمد عوض مرعب ٨٥٠/٢(س ل ق)- دار إحياء التراث العربي – بيروت-ط:الأولى، ٢٠٠١م

(٥) فقه اللغة وسر العربية – لأبي منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)- تح: عبد الرزاق المهدي- صـ٩٠(الفصل السابع والعشرون)(في حِدَّةِ اللِّسَانِ والفَصَاحَةِ)- إحياء التراث العربي- ط: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

وقال الراغب:" السَّلْقُ: بسط بقهر، إمّا باليد أو باللسان." (١)

وورد في اللسان:" الْخَطِيبُ المِسْلاق: الْبَلِيغُ وَهُوَ مِنْ شِدَّةِ صَوْتِهِ وَكَلَامِه." (٢)

وقال د/ حسن جبل: "سَلَقه بالكلام: آذاه بكلام غليظ يؤثر في النفس." (٣)

ومما سبق يتبين أن المعنى اللغوي للسَّلق يدور حول حِدَّة اللسان مع بلاغة وفصاحة وشدة في القول تؤثر في نفس السامع ؛ لما فيه من الحِدَّة والعنف التي لها ما لها من الأثر السيء في نفس السامع .

جـ : التعريف بالبسط :

ذهب ابن فارس إلى أن: "الْبَاء وَالسِّين وَالطَّاء أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ امْتِدَادُ الشَّيْءِ، فِي عِرَضٍ أَوْ غَيْرِ عِرَضٍ." (٤)

قال الراغب:" بَسْطُ الشيء: نشره وتوسيعه... والبسط قد يستعمل " للصولة والضرب. قال تعالى:﴿ وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [الممتحنة: ٢] "(٥)

وذكر د/أحمد مختار عمر: يقال" بسَط القول: أسْهب فيه وأطال... وبسَط لسانَه: أطلقه... وانبسط لسانُه: مزح في كلامه وترك الحشمة." (٦)

---

(١) المفردات في غريب القرآن (١/٤٢٠)(س ل ق)

(٢) لسان العرب- لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت:٧١١هـ) ١٠/ ١٦٠(س ل ق)-)-دار صادر بيروت-ط: الثالثة- ١٤١٤هـ

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن -د/حسن جبل ٢/ ١٠٦٠-مكتبة الآداب – القاهرة ط: الأولى، ٢٠١٠ م.

(٤) مقاييس اللغة ١/ ٢٤٧(ب س ط)

(٥) المفردات في غريب القرآن صـ ١٢٢(ب س ط)

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة-د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) ١/ ٢٠٣(ب س ط)- عالم الكتب- ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

ومما سبق يتبين أن الأصل في البسط : الإكثار من فعل الشيء وامتداده، وقد استعير –هنا– لكثرة عمل اللسان؛ للدلالة على عدم إمساك اللسان عن القول البذيء بحيث يكون مرادًا ببسط اللسان: حِدّة اللسان مع بذاءة القول وترك الحشمة وقد يكون معه عمل اليد بالضرب والقتل.

ومن خلال ما سبق تبين لي أن المعاني إن لم تتطابق فقد تقاربت :

فالسلق باللسان هو: حدة اللسان مع بلاغة وفصاحة في القول ولا يكون بفُحش الكلام بل بالتنقيص والتأنيب والغيبة، ويكون في حالة الأمن من الخوف، ويقتصر فعله على اللسان .

أما بسط الألسن فيراد به: حدة اللسان مع بذاءة القول والإكثار من فحش الكلام وقبيحه، وقد يقع باليد واللسان، ويكون في حالة الغلبة والتمكن من الخصم، فهو نوع من إظهار غاية العداوة من الخصم بعد إسرار المودة.

ثانيا: التعريف بعلم اللغة النفسي، وأهدافه ومجالاته.

أ–التعريف بعلم اللغة النفسي (Psycholinguistics):

من المعلوم أن اللغة من أهم وسائل التعبير والاتصال الإنساني بين الأفراد والجماعات، و" أن النفس الإنسانية بما يعتورها من حالات الرضا والسرور، والغضب والنفور، والاستحسان والاشمئزاز، وغير ذلك، ينعكس أثرها على اللغة "[(١)] المنطوقة، حيث تُعد " اللغة المرآة الصادقة التي تعكس صورة جلية واضحة عن محتويات تلك النفس." [(٢)].

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي– د/ عبد التواب رمضان صـ ١٤٥–مكتبة الخانجي بالقاهرة–ط: الثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م

(٢)علم النفس اللغوي د/ نوال محمد عطية صـ١٤– المكتبة الأكاديمية –ط: الثالثة–١٩٩٥م–

فالعلاقة بين اللغة والنفس البشرية علاقة متبادلة تقوم على التأثير والتأثر، فاللغة تؤثر في النفس البشرية، ومن مظاهر هذا التأثير أن اللغة تُعد مكونًا من مكونات سمات الشخصية عند الفرد والجماعة، وأن اللغة هي الأداة الفاعلة في بناء الفكر، والوعي، والثقافة عند الفرد والجماعة، وهي وسيلة التذوق، وطريق الإقناع والاقتناع، بفكرة معينة، وسلوك نفسي خاص، فعن طريق اللغة، وبواسطة ألفاظها وتراكيبها وأساليبها نستطيع التوصل إلى الإقناع بحكم معين، أو بفكرة خاصة، كما أن النفس البشرية تؤثر في اللغة، ومن مظاهر هذا التأثير عكس التيارات النفسية والخبرات الفردية، والعواطف، والانفعالات على اللغة المنطوقة ؛ لذا فإنه يمكن قراءة نفسية المتكلم بعواطفه، وانفعالاته، ومواقفه من الحب أو الكره، أو الرضا، أو الغضب، أو الفرح أو الحزن، والتأييد أو الرفض وذلك من خلال كلامه وعباراته وجمله. (١)

ونظرًا لما كان للجانب النفسي أو (العامل السيكولوجي) من أهمية في حياة اللغة وتطورها، فقد أفسح علم اللغة الحديث المجال أمام هذا اللون من الدراسة اللغوية والنفسية حيث عُدَّ علم اللغة النفسي فرعًا من فروع علم اللغة الحديث(Linguistic Modern)، إلا أنه لا يقع إلا في الجانب التطبيقي منه؛ لأن معظم موضوعاته لغوية تطبيقية. (٢) وقد عرفه العلماء بأنه:" فرع من فروع علم اللغة، يدرس العلاقة بين السلوك اللغوي والعمليات النفسية التي يعتقد أنها تفسر ذلك السلوك. وقيل إنه: العلم الذي يهتم بدراسة العمليات العقلية التي تتم في أثناء استعمال الإنسان للغة فهمًا وإنتاجًا، كما يهتم باكتساب اللغة نفسها. وقيل أيضًا هو: العلم الذي تتكاتف فيه

---

(١) ينظر: في علم اللغة العام د/ عبد العزيز علام صـ٢١٥،٢١٦- دار الطباعة المحمدية – القاهرة- ط: الأولى -١٤٠٩هـ-١٩٨٨م

(٢) علم اللغة النفسي – د/ عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي صـ١١ – مكتبة الملك فهد الوطنية – ط: الأولى -١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

الرؤى والجهود اللغوية والنفسية لدراسة الجوانب المعرفية التي تفسر فهم اللغة وإنتاجها. وقيل هو: العلم الذي يهتم بالكشف عن العمليات النفسية التي تقود الإنسان إلى اكتساب اللغة واستعمالها. إلى غير ذلك من التعريفات، ومن الملاحظ أن هذه التعريفات تتفق على أن علم اللغة النفسي علم يهتم بدراسة السلوك اللغوي للإنسان، والعمليات النفسية العقلية المعرفية التي تحدث في أثناء فهم اللغة واستعمالها. (١) فالعلاقة بين اللغة والنفس البشرية؛ أو بين اللغة والعقل البشري هي الاهتمام الأساسي أو العام لعلم اللغة النفسي. (٢)

أي أنه لا يمكن أن تقتصر اللغة في دراستها على وصفها وصفًا شكليًّا ينحصر في الأصوات والصرف والنحو والدلالة، بل لا بد من الغوص في أعماقها والبحث في جوانبها النفسية المعرفية، وما يرتبط بذلك كله من نواح فسيولوجية واجتماعية. (٣)

ب-الهدف من دراسة علم اللغة النفسي:

يهدف علم اللغة النفسي إلى دراسة العلاقات الوثيقة بين اللغة الإنسانية والنفس البشرية، إذ لا يطلق على الكلام لغة إلا إذا أدى وظيفة نفسية قائمة على التحليل والتصور وردود الفعل. (٤)

(١) علم اللغة النفسي – د/ عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي صـ٢٦ ،٢٧

(٢) محاضرات مقياس علم النفس اللغوي – د/ العبادي عبد الحق صـ٩ –الجزائر – جامعة ابن خلدون –٢٠٢١/٢٠٢٢م

(٣) علم اللغة النفسي – د/ عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي صـ٣٤

(٤)علم اللغة النفسي للعصيلي صـ٣٣

جـ – من مجالات علم اللغة النفسي وموضوعاته:

ويُعد من أهم مجالات علم اللغة النفسي ما يأتي[1] :

١ – فهم اللغة سواء كانت منطوقة أو مكتوبة، حيث يركز في هذا المجال على الدراسة التفصيلية للعمليات العصبية والعقلية، المستخدمة في فهم اللغة؛ كاستقبال الرسالة اللغوية، والتعرف عليها، وتحديد معنى الكلمات في الرسالة، وفهم جملها بعد تحليليها نحويًا وصرفيًا وضم هذه الجمل بصورة متماسكة تؤدي إلى فهم الفقرة أو الفقرات التي تكوِّن في مجملها رسالة متماسكة مفهومة.

٢ – استعمال اللغة وإصدار الكلام.

---

(١) ينظر: علم اللغة النفسي للعصيلي صـ٣٥

المبحث الأول

السِّلق بالألسنة في القرآن الكريم دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي

قال تعالى﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٩]

توطئة : بين يدي الآية الكريمة :

أ-مناسبة الآية لما قبلها:

بعدما أخبر الله (ﷻ) عن إحاطة عِلْمه بِالمُعَوِّقِينَ[(١)] لغيرهم عن شُهُودِ الحرب مع رسول الله (ﷺ) في قوله تعالى:﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٨]، وأنهم لا يأتون الحرب أو مكانها إلا رياء وسمعة شرع ﷻ في بيان" فساد قصدهم بقوله ذامًّا غاية الذَّمِّ بالتعبير بالشُّحّ الذي هو التناهي في البخل"[(٢)]

---

(١) قال الرازي يراد بالمعوقين في الآية الكريمة وَجْهَين:" أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ لِلْأَنْصَارِ لَا تُقَاتِلُوا وَأَسْلِمُوا مُحَمَّدًا إِلَى قُرَيْشٍ، وَثَانِيهِمَا: الْيَهُودُ الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ لأهل المدينة تعالوا إلينا وكونوا معنا وهلم بِمَعْنَى تَعَالَ أَوِ احْضُرْ وَلَا تُجْمَعُ فِي لُغَةِ الْحِجَازِ وَتُجْمَعُ فِي غَيْرِهَا فَيُقَالُ لِلْجَمَاعَةِ هَلُمُّوا وَلِلنِّسَاءِ هَلُمَّنَّ، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ يُؤَيِّدُ الْوَجْهَ الْأَوَّلَ وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُمُ الْمُنَافِقُونَ وَهُوَ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ بِمَعْنَى يَتَخَلَّفُونَ عَنْكُمْ وَلَا يَخْرُجُونَ مَعَكُمْ.. وَثَانِيهِمَا: لَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ بِمَعْنَى لَا يُقَاتِلُونَ مَعَكُمْ وَيَتَعَلَّلُونَ عَنِ الِاشْتِغَالِ بِالْقِتَالِ وَقْتَ الْحُضُورِ مَعَكُمْ." مفاتيح الغيب- لفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)- ١٦٢/٢٥- دار إحياء التراث العربي – بيروت- ط:الثالثة - ١٤٢٠ هـ

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور-لـ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت:٨٨٥هـ-١٤٨٠م)-٣١٤/١٥- دار الكتاب الإسلامي، القاهرة-(د-ط-ت).

ب-المعنى العام للآية الكريمة :

تتحدث الآية الكريمة عن السلوك النفسي المتأصل في نفس المنافق والذي جُبِل عليه حيث تناولت الآية الكريمة دنيء الصفات التي يتصف بها المنافقون فهم حين البأس بخلاء بالنفقة والنُّصرة، لا يودون المساعدة لا بنفس ولا بمال. فإذا بدأ القتال ينظرون نظر المغشي عليه من الموت خوفًا وفزعًا وجبنًا من القتل والموت، فإذا كان الأمن أطلقوا ألسنتهم بفصيح الكلام، مُدَّعين لأنفسهم النجدة والشجاعة، حريصين على الغنائم لا يريدون أن يفوتهم شيء منها، ثم بيّنت الآية الكريمة أن ما دعاهم إلى ذلك كله هو قلة ثقتهم بالله؛ لعدم تمكن الوازع النفسي في قلوبهم وهو الإيمان. (١)

ج- سبب النزول:

نَزَلَت الآية الكريمة في المنافقين حين " أرسل الْيَهُود إِلَى الْمُنَافِقِينَ يوم الخندق، فقَالُوا مَا الَّذِي حملكم أن تقتلوا أَنفُسكم بِيَدِ أَبِي سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ.... فأقبل رجلان من المنافقين عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ يَعُوقُونَهُمْ وَيُخَوِّفُونَهُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ، وَقَالُوا: لَئِنْ قَدَرُوا عَلَيْكُمْ لَمْ يَسْتَبْقُوا مِنْكُمْ أَحَدًا مَا تَرْجُونَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ مَا عِنْدَهُ خَيْرٌ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَنَا هَاهُنَا، انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا يَعْنِي الْيَهُودَ، فَلَمْ يَزْدَدِ الْمُؤْمِنُونَ بِقَوْلِ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا." (٢)

---

(١) ينظر تفسير المراغي-لأحمد بن مصطفى المراغي (ت:١٣٧١هـ)-٢١/١٤٤/ ١٤٥- مطبعة مصطفى البابي الحلبي -مصر-ط: الأولى، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦ م

(٢) لم أجده في أسباب النزول للواحدي ولكن نصت عليه التفاسير نقلا عن مقاتل - ينظر تفسير مقاتل بن سليمان-لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت:١٥٠هـ)-تح:عبد الله محمود شحاته- ٤٨١/٣(بتصرف يسير)-دار إحياء التراث-بيروت- ط: الأولى-١٤٢٣هـ – وينظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن-لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي ←←←

د-مناسبة الآية الكريمة للمقصد العام للسورة :

قال البقاعي إن المقصد العام للسورة الكريمة هو:" الحث على الصدق في الإخلاص في التوجه إلى الخالق من غير مراعاة بوجه ما للخلائق؛ لأنه عليم بما يُصلحهم، حكيم فيما يفعله. فهو يُعْلِي من يشاء، وإن كان ضعيفًا، ويُرْدِي من يريد وإن كان قويًّا، فلا يَهتمَّنَّ الماضي لأمره برجاء لأحد منهم في بِرِّه، ولا خوف منه في عظيم شَرِّه، وخفِيِّ مَكْرِه." (١)

فلما كان المقصد العام للسورة الكريمة الحث على الصدق والإخلاص في القول والعمل ناسب هذا المقصد الآية الكريمة التي أظهرت حقيقة المنافقين الذين يظهرون الإيمان لفظًا مضمرين الكفر في قلوبهم كاذبين مراوغين، أشحة النفوس والطبائع، جبناء عند البأس، حادة ألسنتهم عند الأمن متفاخرون بأنهم أهل النجدة والشجاعة، وهم أجبن ما يكون عند البأس، فأظهر الله(ﷻ) جبنهم مبينًا حقيقتهم أمام نبيه الكريم (ﷺ) والمسلمين بأنهم لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم.

→→→

إسحاق (ت:٤٢٧هـ)-تح:الإمام أبي محمد بن عاشور ٢١/٨- راجعه:نظير الساعدي-دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان-ط:الأولى ١٤٢٢،هـ-٢٠٠٢ م- وينظر معالم التنزيل في تفسير القرآن=تفسير البغوي-لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت:٥١٠هـ)-تح:محمد عبد الله النمر-عثمان جمعة ضميرية-سليمان مسلم الحرش ٣٣٤/٦- -دار طيبة-ط:الرابعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧ م

(١) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ-لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي (ت:٨٨٥هـ)-تح:عبد السميع محمد أحمد حسنين ٣٧٠/٢- مكتبة المعارف- الرياض- ط:الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٧ م.

المطلب الأول

الدلالة الصوتية في ضوء علم اللغة النفسي

أولا: دلالة الوحدات الصوتية (الفونيمات) (١) :

أ-دلالة فونيمات السين واللام والقاف في قوله تعالى﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ [الأحزاب: ١٩]

يدور المعنى اللغوي للسَّلق حول حِدَّة اللسان مع بلاغة وفصاحة وشدة في القول(٢)

وقال الواحدي إن المراد بقوله تعالى:﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ أي:" آذوكم بالكلام في الأمن بألسنة سليطة ذربة." (٣)

بالنظر إلى مخارج الأصوات التي تتألف منها المادة اللغوية (س ل ق) حيث تبدأ بصوت السين الذي يخرج من مستدق طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، ثم اللام

---

(١) الوحدة الصوتية :"هي أصغر وحدة ذات طابع صوتي متميز يؤدي استعمالها إلى التفريق في المعنى."دلالة السياق د/ عبد الفتاح البركاوي صـ٨٠- (د-ط)-١٩٩١م - وعليه فالفونيم يُعد أصغر وحدة صوتية ذات أثر سمعي، ووظيفي، ونظرًا للصلة القوية بين علم النفس وعلم اللغة بصفة عامة ، وعلم الصوتيات بصفة خاصة ، فاللغة ليست مجرد أصوات يصدرها جهاز النطق وتنتقل على صورة إشارات فيزيائية إلى السامع ، وإنما هي تعكس لنا ما قد تثيره من تيارات نفسية عند التكلم وعند السامع ...ذلك أن لكل منهما ذكرياته وتجاربه ومزاجه الخاص...فيبدو الكلام بين طرفيه (المتكلم والسامع) بمثابة مرآة تظهر عليها العواطف والمشاعر والانفعالات. علم الصوتيات -د/ عبد العزيز علام -د/ عبد الله ربيع صـ٦٠- مكتبة الرُشد -الرياض-(د-ط)-١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٢) سبق الإشارة إلى المعنى اللغوي في التمهيد في هذا البحث

(٣) التفسير الوسيط للواحدي ٤٦٣/٣

من طرف اللسان مع اللثة العليا، والقاف من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى. (١)

تبيّن لي أن الفونيمات التي تتكون منها مادة (س ل ق) تشمل جميع اللسان من مستدق طرفه إلى أقصاه وذلك فيه دلالة على إعمال اللسان كله في إخراج هذا الكلام الغليظ المؤثر في نفوس المسلمين، والذي يعبر بغلظِه وشدته عن شدة غيظهم وبغضهم الكامن في نفوسهم، فكأن لسان حالهم عبر عما كانوا يبطنون للمسلمين من الحقد والكراهية عند إتاحة الفرصة لهم.

وعلى الرغم من أن قراءة ابن أبي عبلة التي جاءت بالصاد(صلقوكم) أقوى من (سلقوكم) بالسين؛ لما في الصاد من الاستعلاء والإطباق والجهر، إلا أن صوت السين هو الأنسب للسياق حيث إن السين بالرغم من صفيرها المعبر عن ارتفاع أصواتهم وشدة صياحهم عند إلقاء اللوم على المسلمين على تعرضهم للخطر؛ لما في السَّلْق من دلالة على" قُوَّة الصَّوْتِ وَالصِّيَاحِ." (٢) وكونه "صوتا قويا حادا يؤثر في السمع"(٣)، إلا أن السين بهمسها تتناسب مع طبيعة هؤلاء المنافقين وما كانوا يخفون في نفوسهم من عداء وبغض للمسلمين، وأنهم مهما علت أصواتهم وارتفعت فلن يمكنهم الله من المؤمنين وسيحبط أعمالهم، حيث قال ابن عاشور: إنهم " رَفَعُوا

---

(١) ينظر سر صناعة الأعراب-لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت:٣٩٢هـ)-١/ ٦٠- دار الكتب العلمية بيروت-لبنان-ط: الأولي ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»- لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ)-٢١/ ٢٩٨- الدار التونسية للنشر – تونس-(د-ط)-١٩٨٤هـ

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن -د/حسن جبل٢/ ١٠٦٠

أَصْوَاتَهُمْ بِالْمَلَامَةِ عَلَى التَّعَرُّضِ لِخَطَرِ الْعَدُوِّ الشَّدِيدِ وَعَدَمِ الِانْصِيَاعِ إِلَى إِشَارَتِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِمُسَالَمَةِ الْمُشْرِكِينَ." (١)

كما أنها تناسبت بهمسها مع ضعف نفوس هؤلاء المنافقين واتصافهم بالجبن وعدم الشجاعة حين البأس ثم انطلاق ألسنتهم بحاد الكلام بعد انتهاء هذا البأس؛ لما شعروا به من حالة الطمأنينة والاستقرار النفسي حتى أنهم صاروا يُلحُون على أخذ نصيبهم من الغنيمة، فقد صفت أذهانهم وهدأت نفوسهم بعد ما كانوا عليه من الخوف والجبن وقت الحرب، وانطلقت ألسنتهم بأصوات صافية واضحة.

وما فيها من استفال يتناسب مع دناءة نفوسهم واستفالها وحقارة أخلاق هؤلاء المنافقين الفارين من الجهاد في سبيل الله خائفين فزعين من الموت، حيث وصفهم الرسول الكريم(ﷺ) بقوله: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ »(٢) فـ" الْمُنَافِقَ يُظْهِرُ التَّقْوَى وَقَلْبُهُ خَالٍ عَنْهَا، فَلَا يَكُونُ مُجِدًّا فِي أَدَاءِ الطَّاعَاتِ." (٣)

وما فيها من صفة الرخاوة ؛ يجعلها من الأصوات المتمادة التي يستمر النطق بها ما أسعف النفس، وهذا الاستمرار يتناسب مع تمادي هؤلاء المنافقين في إلقاء اللوم على المسلمين واستمرارهم في طلب الغنائم بإصرار دون تراجع أو خجل مما كانوا عليه من الجبن والخوف حال البأس.

---

(١) التحرير والتنوير ٢١/ ٢٩٨

(٢) صحيح البخاري- ١/ ١٦/ح٣٣ (باب علامة المنافق)

(٣) البحر المحيط في التفسير-لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)-تح: صدقي محمد جميل ٧/ ٥٠٦- دار الفكر – بيروت-(د-ط)-١٤٢٠هـ.

كما أن الحفيف الذي يحدثه الهواء حالة النطق بالحرف –هنا– يمثل خروج الكلام المؤثر المؤلم الذي له وقعه على النفوس وله أثره وصداه في نفس السامع.

وما فيها من انفتاح يتناسب مع انفتاح نفوسهم على أهوائها، فهؤلاء المنافقون كان بالغ همهم الحصول على الغنائم وشهوات دنياهم دون النظر إلى الآخرة وما كان الله سيجازيهم لو أخلصوا في إيمانهم.

ثم يأتي صوت اللام وهو صوت(منحرف مجهور، متوسط بين الشدة والرخاوة، ذلق)

فاللام بما فيها من صفتي الانحراف والجهر وهما من صفات القوة يتناسبان مع انحراف ألسنتهم من الجبن واللَّجلَجَة حال الحرب إلى حال شدة القول والطعن باللسان حال الأمن، حيث قال ابن كثير:" سَلَقُوكُمْ: "أَيْ عَلَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْكَلَامِ الْحَادِّ الْقَوِيِّ فِي الْأَمْنِ، وَفِي الْحَرْبِ أجبن شيء." (١)

كما أن صفتي التوسط والاستفال التي يحملهما صوت اللام يتناسبان مع ضعف موقف هذا المنافق وتأرجحه بين الحق والباطل لا هو بمؤمن مخلص في دينه يطلب الآخرة، ولا هو من يظهر كفره خوفًا وجبنًا من القتل والسبي والأسر، وهذا مما يتفق مع طبيعة المنافق، فالمنافق " خَنِعُ الْأَخْلَاقِ يصدق بلسانه وينكر بقلبه ويخالف بعمله ويصبح على حَالٍ وَيُمْسِي عَلَى غَيْرِهِ، وَيُمْسِي عَلَى حَالٍ وَيُصْبِحُ عَلَى غَيْرِهِ، وَيَتَكَفَّأُ تَكْفُؤَ السَّفِينَةِ كلما هبت ريح هبت معها." (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير–لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت:٧٧٤هـ)–تح:محمد حسين شمس الدين ١٧٢/٤– دار الكتب العلمية–بيروت–ط:الأولى–١٤١٩هـ

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٨٩

كما أن ذلاقة اللام الذي يجعلها توصف "بالخفة والسلاسة في نطقها"[١] يتناسب مع طلاقة ألسنتهم وبلاغتها في المخاصمة، كما يتناسب مع سرعة تأثر المسلمين بكلامهم، فقد آذوهم بالكلام الشديد و" خاطبوهم أَشَدَّ مخَاطَبَةٍ وَأَبْلَغَهَا في الغنيمة." [٢]

ثم يأتي صوت القاف[٣] وهو: حرف متمكّنٌ قوي؛ لجهره وشدته واستعلائه مما يتناسب مع طلاقة وفصاحة ألسنتهم في النيل من المسلمين والتمكن من إلحاق الإيذاء النفسي بهم حيث " تناولوهم تناولًا صعبًا جرأة ووقاحة، ناسين ما وقع منهم عن قرب من الجبن والخور بألسنة حداد ذربة قاطعة فصيحة بعد أن كانت عند الخوف في غاية اللجلجة لا تقدر على الحركة من قلة الريق ويبس الشفاه، وهذا لطلب العرض الفاني من الغنيمة أو غيرها." [٤]

---

(١) الأصوات العربية وصف وتحليل – د/ عبد التواب مرسي حسن الأكرت (ص١٤٩) – المكتبة الأزهرية للتراث – ط:الأولى-١٤٣٣هـ-٢٠١٣م

(٢) معاني القرآن وإعرابه-لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج (ت:٣١١هـ)-تح:عبد الجليل عبده شلبي ٤/ ٢٢١- عالم الكتب – بيروت-ط:الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨ م

(٣) ذهب القدامى إلى أن القاف: من (الأصوات المجهورة) ينظر الكتاب لسيبويه(٤/ ٤٣٤)،وينظر سر صناعة الإعراب(١/ ٧٥) ، وذهب المحدثون إلى أن القاف:(صوت مهموس) ، (ولعل هذا الاختلاف بين القدامى والمحدثين يرجع إلى اختلاف نطق القدامى لهذه الأصوات عن نطقنا لها اليوم) ينظر دراسات في علم الأصوات اللغوية (ص١١٨) أي " أن هذه الأصوات كانت مجهورة ، ثم تغيرت بعد ذلك حتى صارت مهموسة – وهو الأقرب إلى الصواب " بحث بعنوان (دلالة الأصوات المجهورة في خاتمة فواصل سورة البروج "دراسة تحليلية") – د/سوسن حسانين الهدهد (صـ٦٠٦)- مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، ولذا اعتمدت على أن القاف من الأصوات المجهورة.

(٤) نظم الدرر للبقاعي١٥/ ٣١٥- الذَّرِبُ:"الحادُّ من كُلِّ شَيْءٍ...ولسانٌ ذَرِبٌ حَدِيدُ الطَّرَفِ وذَرَبُه حَدَّتُه." المحكم والمحيط الأعظم-لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت:٤٥٨هـ)- ←←←

كما أن القاف من أطلق الحروف وأضخمها جرسا[١]، وهذا الجرس العالي يتناسب مع شدة غلظ كلام هؤلاء المنافقين الذي يقرع بشدة قلوب المسلمين مما يجعل لكلامهم أثر بالغ في إيذاء نفوسهم فقد أسمعوهم ما يكرهون وأكثروا عليهم مما كان له ما له من سيء الأثر في نفوس المسلمين حتى سُرِّيَ عن قلوب المؤمنين واطمأنت بقوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ ﴾[الأحزاب:١٩]

كما أن القاف بما فيها من الجهر والإصمات تتناسب مع مجاهرتهم بغليظ القول حالة الأمن حيث يقال: "سلق فلان فلانًا بلسانه: إذا أغلظ له في القول مجاهرًا."[٢] وما يترتب على ذلك من حالة الدهشة والذهول التي أصابت الحضور من المسلمين عند سماعهم لقول هؤلاء المنافقين الذين " أطلقوا لألسنتهم العنان في النبي الكريم(ﷺ) والمسلمين، بكل بهتان من القول، وخبيث من الكلم"[٣] منكرين حالهم وما كانوا عليه من الجبن والخوف عند الحرب.

ب-دلالة فونيمات الحاء والدال في قوله تعالى:﴿ حِدَادٍ ﴾[الأحزاب: ١٩]:

←←←

تح:عبد الحميد هنداوي ١٠/ ٦٥(ذ ر ب)- دار الكتب العلمية – بيروت-ط: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠ م

(١) العين للخليل ١٣/١

(٢) فتحُ البيان في مقاصد القرآن -- لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت:١٣٠٧هـ)-راجعه:عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ١١/ ٦٤- المَكتبة العصريَّة ، صَيدَا – بَيروت-(د-ط)-١٤١٢هـ-١٩٩٢ م

(٣) التفسير القرآني للقرآن-لعبد الكريم يونس الخطيب (ت:بعد ١٣٩٠هـ)-١١/ ٦٧٥- دار الفكر العربي – القاهرة-(د-ط-ت)

ذهب الصاحب بن عباد إلى أن :" الحِدَّة : حِدَةُ اللِّسانِ وهي جُدٌّ مُقَدَّمِه كُلُّه."[١] وقال الجوهري: "الحِدَّة : مَا يَعْتَرِي الْإِنْسَانَ مِنَ النَّزَقِ وَالْغَضَبِ."[٢]

وبالنظر إلى أصوات المادة التي تتألف من الحاء والدال، حيث تبدأ أصوات اللفظة بصوت الحاء وهو صوت حلقي يخرج من وسط الحلق[٣]، يعبر عن " جفاف في الباطن مع احتكاك بِعِرَض يبرِز وجود الممر الجاف في الجوف"[٤] فهذا الجفاف الذي يظهر في بحة الحاء[٥] يتناسب مع قسوة كلام هؤلاء المنافقين وشدته مما كان له بالغ الأثر وسيئه في نفوس المسلمين حيث قال الخازن في معنى قوله تعالى:﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾[الأحزاب: ١٩]: أي: آذوكم ورموكم في حالة الأمن بِأَلْسِنَةٍ ذربة تفعل كفعل الحديد[٦] قاطعة قاسية؛ لشدتها وصلابتها في القول.

---

(١) المحيط في اللغة-للصاحب ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني(ت:٣٨٥)-تح: محمد حسن آل ياسين ٣/١٨٠(ح د د)- عالم الكتب-بيروت/لبنان-ط:الأولى-١٤١٤هـ-١٩٩٤ م

(٢) الصحاح ٢/٤٦٣(ج د د) – " النَّزَقُ: خِفَّةٌ فِي كُلِّ أَمر وَعَجَلَةٍ فِي جَهْلٍ وحُمْق." العين ٥/٩٢(ن ز ق)

(٣) ينظر الكتاب-لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبي بشر، الملقب بسيبويه(ت:١٨٠هـ)-تح:عبد السلام محمد هارون (٤/٤٣٣)- مكتبة الخانجي، القاهرة-ط:الثالثة،١٤٠٨هـ-١٩٨٨ م – وينظر سر صناعة الإعراب (١/ ٦٠)

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن –د/ حسن جبل ١/ ٢٨

(٥) قال عنها الخليل :"ولولا بَحَّة في الحاء لأَشْبَهَت الغَيَن لقُرْب مَخْرَجِها من العَيْن" العين ١/٥٧(مقدمة)

(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل-لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبي الحسن، المعروف بالخازن(ت:٧٤١هـ)-تح: محمد علي شاهين ٣/ ٤١٨- دار الكتب العلمية-بيروت-ط:الأولى-١٤١٥هـ

ثم ما يحدث من احتكاك بِعِرَض يوحي بمدى تأثر المسلمين بكلام هؤلاء المنافقين فقد تناولوهم بالنقص والغيبة في القتال حتى يظن السامع أن هؤلاء المنافقين أهل شجاعة وإقدام حالة الحرب مع أنهم في حقيقة الأمر أجبن قوم وأخذلهم للحق فلا يأتون البأس إلا قليلا.

والحاء أيضًا صوت رخو(احتكاكي) [١] أي أنها من الأصوات المتمادة التي يستمر بها النطق ما أسعف النفس، وهذا الاستمرار يتناسب مع استمرار هؤلاء المنافقين من ادعائهم المقامات العالية وقت القتال للتنقيص من قدر المؤمنين عند القتال، حيث قال ابن كثير إنهم: "ادَّعُوا لِأَنْفُسِهِمُ الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةَ فِي الشَّجَاعَةِ وَالنَّجْدَةِ، وَهُمْ يَكْذِبُونَ فِي ذلك." [٢] وهذا يتناسب مع دلالة نفسية تتمثل في حب المنافق للظهور والاستعراض والتميز ولفت الانتباه وحصول ذلك بقدرته على الكذب في الحديث والخداع والمكر؛ ليحصل على ما يريد من الفخر والعزة الكاذبة.

كما أن رخاوة الحاء مع همسها، والرخاوة:" انطلاق الصوت عند النطق بالحرف." [٣] والهمس: "جريان النفس عند النطق بالحرف"[٤]، فالحاء بما فيها من الهمس والرخاوة وما يكون فيهما من جريان النفس والصوت فإن هذا يتناسب مع

---

(١) دراسات في علم الأصوات اللغوية د/ أحمد طه سلطان –د/ صلاح الدين محمد قناوي (صـ١٤٠)– –جامعة الأزهر– ط:الثانية–١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٣٥٠

(٣) دراسات في فقه اللغة– د. صبحي إبراهيم الصالح (ت: ١٤٠٧هـ)(صـ٢٨١)– دار العلم للملايين– ط: الأولى ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م

(٤) دراسات صوتية في التجويد والأصوات اللغوية في ضوء الدرس اللغوي الحديث – د/ عبد الفتاح أبو الفتوح – د/ زينب أبو النجا (صـ٩٥)– أبو النجا–مطبعة الحصري–(د–ط–ت)

إطلاق ألسنتهم " كَلَامًا بَلِيغًا فَصِيحًا عَالِيًا "[١] دون عائق للنيل من المسلمين والحصول على بغيتهم من الغنيمة.

كما أن في الحاء استفال يتناسب مع دناءة قول هؤلاء المنافقين وحقارة طباعهم وأخلاقهم فقد " بالغوا فيهم بالكلام طعنًا وذمًا. فأحرقوهم وآذوهم." [٢]

ثم يأتي صوت الدال وهو صوت شديد(انفجاري) [٣]، ينطلق الهواء فيه فجأة بعد ضغطه وحبسه وانطلاق الهواء فجأة بعد ضغطه وحبسه يجعله قويًّا شديدا؛ لأن الضغط والحبس يزيدان من طاقة الهواء المحبوس، فتزداد بذلك شدته[٤]، مما يتناسب مع شدة قول المنافقين، فقد كانت ألسنتهم ذربة سليطة طاعنة طعن السيوف من قسوتها وشدتها في القول.

كما أن الدال بجهرها تتناسب مع ظهور أثر هذه الحِدة والغلظة في الكلام على نفوس المسلمين مما تسبب عنه شدة الضيق في نفوسهم.

كما أن من المعلوم أن الدال تأتي" لما طال من الأثر"[٥] ؛ مما يجعلها تحاكي مدى تأثر المسلمين بكلام هؤلاء المنافقين وإن كان يعلمون كذب ما يدَّعي هؤلاء المنافقون.

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٣٥٠

(٢) محاسن التأويل–لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت:١٣٣٢هـ)– (ت:١٣٣٢هـ)–تح:محمد باسل عيون السود ٨/ ٥٧(بتصرف يسير)– دار الكتب العلميه– بيروت–ط:الأولى–١٤١٨هـ

(٣) ينظر الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس(صـ٥١)– مكتبة نهضة مصر–(د–ط–ت)

(٤) ينظر بحث بعنوان (دلالة الأصوات المجهورة في خاتمة فواصل سورة البروج "دراسة تحليلية") – د/ سوسن حسانين الهدهد (صـ٦٣٢)

(٥) استئناسًا بما قاله ابن جني في القد والقط حيث قال:" فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض؛ لقربه وسرعته، والدال المماطلة لما طال من الأثر وهو قطعه طولًا." الخصائص– لأبي الفتح ←←←

ثم يأتي صوت الألف المدية؛ ليبين مدى استمرارهم في إيذاء المسلمين بقسوة كلامهم؛ ليتكرر صوت الدال مرة ثانية بعدها ؛ ليدل على أن قولهم بلغ من الشدة والحدة ما بلغ فهو حاد حدة السيف قاطعًا قاسيًا مما كان له عميق الأثر في نفوس المسلمين، كما يدل على السلوك النفسي الذي يسيطر على هؤلاء المنافقين وهو إضمار العداوة للمسلمين ومحاولة النيل منهم عند إتاحة الفرصة لهم.

وبالنظر إلى أصوات الآية الكريمة بوجه عام تبين لي :

أولًا: شيوع الأصوات المجهورة التي مثلت سبعة وتسعين صوتًا من جملة خمس وخمسين ومائة صوت مقابل أربعين صوتًا مهموسًا.

والجهر والوضوح السمعي الذي تتسم به هذه الأصوات يتناسب مع:

١- افتضاح أمر هؤلاء المنافقين والتشهير بهم بأن بيّن القرآن الكريم حقيقتهم أمام النبي الكريم (ﷺ) والمسلمين فهم أشحة، جبناء عند البأس، كاذبين عند الأمن مدَّعين طامعين عند الغنيمة والظفر بالحرب، لم يؤمنوا.

٢- علو أصواتهم حالة الأمن ومحاولة النيل من المسلمين.

٣- تسلية قلوب المؤمنين بأن هؤلاء المنافقين مهما عملوا من عمل وَادَّعَوْا من قول لن يقبل منهم فقد أحبط الله أعمالهم.

*بينما تدل الأصوات المهموسة على:

١- الخفاء الذي يتناسب مع حقارة ما يخفونه في نفوسهم من بغض وحقد وحسد للمسلمين .

→→→

عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)-(٢/ ١٦٠)- الهيئة المصرية العامة للكتاب-ط: الرابعة-(د-ت)

٢- الضعف الذي يتناسب مع ضعف هؤلاء المنافقين فإنهم مهما بلغ بهم المكر والخديعة فكيدهم كان ضعيفًا هينًا يسيرا على الله.

ثانيًا: شيوع وغلبة الأصوات المنفتحة التي مثلت في الآية الكريمة ثلاثة وخمسين ومائة صوت من جملة خمس وخمسين ومائة صوت مقابل صوتين مطبقين وهما (الظاء والطاء)؛ لتتناسب بانفتاحها مع انفتاح نفوس هؤلاء المنافقين على أهوائها حيث اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة .

-بينما تتناسب الأصوات المطبقة مع إطباق نظرهم على رسول الله (ﷺ) دون غيره في حالة خوفهم وفزعهم من القتال كأنهم يعلمون أنه لا ملاذ لهم وملجأ إلا رسول الله (ﷺ) حيث وردت الظاء في الآية الكريمة مرة واحدة في الفعل (ينظرون).

وكذلك وردت الطاء مرة واحدة في الفعل (فأحبط)؛ لتتناسب مع إطباق فعل الإحباط على جميع أعمالهم مهما بلغت وكَثُرت وأُحكِمَتْ فهي هَيِّنَة مُحبَطَة من قبل الله(ﷻ).

ثالثًا: مثلت الأصوات المتوسطة ثلاثة وخمسين صوتًا من جملة خمس وخمسين ومائة صوت من أصوات الآية الكريمة ؛ لتتناسب مع تأرجح المنافق بين الحق والباطل لا هو مؤمن خالص ولا كافر مجاهر بكفره، فيظهر الإيمان ويضمر الكفر والعصيان مع علمه الكامل وتيقنه بأن ما عليه النبي الكريم(ﷺ) والمؤمنون هو الحق لا غير.

ثانياً : دلالة المقاطع:

آثرت تعريف المقطع من الناحية الفسيولوجية ؛ لربط دلالته بالحالة النفسية التي يكون عليها كلا من المتكلم والسامع، وعليه فالمقطع هو: "وحدة حركية يكون التحرك الأساسي الأكبر فيها هو النبضة النَّفسية، أو دفعة الجهاز العضلي الصدري التي تصنع ضغطة الهواء في الرئتين، فيخرج إلى حيث يُنَظَّم، أو يُوقف عن طريق

تحركات أعضاء النطق ."[١]

وقد تنوعت المقاطع في الآية الكريمة ما بين مفتوحة ومغلقة، وبين قصيرة ومتوسطة وهذا يدل على تلوّن هؤلاء المنافقين حيث يظهرون خلاف ما يبطنون .

وقد بلغت جملة المقاطع في الآية الكريمة ثلاثة ومائة مقطع، والجدول التالي يوضح أي هذه المقاطع أكثر ورودًا في الآية الكريمة:

الآية	نوع المقطع	عدد مرات تكراره
﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾	القصير المفتوح	٥١ مرة
	المتوسط المغلق	٣٤ مرة
	المتوسط المفتوح	١٨مرة
	الطويل المغلق	–

وبالنظر إلى المقاطع الصوتية في الآية الكريمة تبين لي:

– شيوع وغلبة المقاطع القصيرة المفتوحة (ص ح)، وهي مقاطع تتسم بالخفة والسرعة في النطق؛ لتتناسب مع:

١– سرعة تقلب المنافقين بين الأحوال المختلفة حيث انتقلوا من حالة الخوف والجبن حين البأس إلى حالة الأمن والطمأنينة بعد ظفر المسلمين بالقتال وهذا يتناسب مع طبيعة المنافقين فهم يتلوّنون وفق المواقف والأحوال في سرعة ويسر،

(١)علم الصوتيات –د/ عبد العزيز علام –د/ عبد الله ربيع صـ٢٧٨

فتارة يكونون معهم عند نصرهم فيقبلون عليهم؛ ليتقاسموا معهم الغنائم ؛ لشدة شحهم وبخلهم ورغبتهم الشديدة في الاستيلاء على حق المسلمين، وتارة يكونون عليهم عند انهزامهم ؛ ولعل أبرز ما يدل على ذلك قول الله تعالى:﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [النساء:٧٢،٧٣]، وهذا التلّون يجعل ألسنتهم تنطلق في حِدَّة وشدة عند إتاحة الفرصة لهم للنيل من المسلمين.

– شيوع وغلبة المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)، وهي مقاطع تتميز بالشدة والقوة؛ لتتناسب مع:

– تناهي الشُّحّ في نفوس هؤلاء المنافقين الذي تملكهم وسيطر على عقولهم ونفوسهم حتى صار صفة متأصلة فيهم لا يجتمع معها الإيمان أبدا، ويؤيد ذلك أن جملة (أَشِحَّةً عَلَيكُم) جاء بها أربع مقاطع صوتية متوسطة مغلقة (شح / تن/– ليـ/ كم).

–تناهي حالة الخوف والفزع التي سيطرت على نفوس هؤلاء المنافقين حين البأس مما جعلها ظاهرة واضحة عليهم ترى بحاسة العين مما يدل على تحقق الرؤية وبلوغها أقصاها، ويؤيد ذلك أن جملة (جَآءَ ٱلخَوفُ)، وجملة (رَأَيتَهُم يَنظُرُونَ إِلَيكَ تَدُورُ أَعيُنُهُم كَٱلَّذِي يُغشَىٰ عَلَيهِ مِنَ ٱلمَوتِ) جاء بهما ثلاثة عشر مقطعًا متوسطًا مغلقًا (عل/ خو/أي/ هم/ ينـ/ ليـ/ أع/هم/ كلـ/ يغ/ليـ/ نل/ مو).

– كمال انطلاق ألسنتهم عند الأمن في المسلمين فهي حادة طاعنة طعن السيوف عند ذهاب الخوف وشعورهم بالاطمئنان والسكينة، ويؤيد ذلك أن جملة (ذَهَبَ ٱلخَوفُ سَلَقُوكُم بِأَلسِنَةٍ حِدَادٍ) جاء بها ستة مقاطع صوتية متوسطة مغلقة (بل/خو/كم/ألـ /تن/دن).

– شدة شح هؤلاء المنافقين حتى فيما لا يملكون فهم أشحاء بمنع وجوه الخير أن تصل إلى المسلمين ويؤيد ذلك أن جملة (أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيرِ) جاء بها أربعة مقاطع صوتية متوسطة مغلقة (شح/تن/لل/خي).

– انغلاق قلوب هؤلاء المنافقين عن الإيمان وأن الرسول الكريم (ﷺ) مهما حاول معهم من دعوة واجتهاد ليس منه فائدة ويؤيد ذلك أن جملة (لَم يُؤمِنُواْ) جاء بها مقطعان متوسطان مغلقان (لم/ يؤ) .

– الإحاطة الكاملة بإعمال المنافقين وإحباطها من قبل الله (ﷻ) فلا نفع بها ولا فائدة لهم منها، ويؤيد ذلك أن جملة (فَأَحبَطَ ٱللَّهُ أَعمَٰلَهُم) جاء بها أربعة مقاطع صوتية متوسطة مغلقة (أح/طل/أع/هم) .

ثم تأتي دلالة المقاطع المتوسطة المفتوحة (ص ح ح)، وهي مقاطع توحي بالانفتاح وعدم وجود عائق أثناء النطق ؛ لانتهائها بصائت طويل ؛ لتتناسب مع :

– انكشاف حقيقة هؤلاء المنافقين، وافتضاح أمرهم بإظهار حقيقتهم بما أثبت القرآن الكريم لهم من دنيء الصفات وسيء الأخلاق.

–انفتاح قلوب هؤلاء المنافقين لخوف لا حدود له حين البأس حيث جاء المقطع المتوسط المفتوح (جا / ص ح ح)(ينظرون/ رو(ص ح ح)–(تدور/ دو(ص ح ح)–يغشى/ شى(ص ح ح) ؛ للدلالة على خوف لا نهاية له حين البأس واستمرار ذلك كلما تجدد البأس والقتال، وذلك يتناسب مع طبيعة المنافق الذي يخشى الموت ؛ لشدة تعلقه بالحياة .

– انفتاح قلوبهم للكفر وخلوها من الإيمان حيث انتهى قوله تعالى:(لَم يُؤمِنُواْ) بالمقطع المتوسط المفتوح (نو/ص ح ح).

– إحباط أعمالهم أمر لا نهاية له فهو أمر هين يسير على الله حيث انتهت كلمة يسيرا بالمقطع المتوسط المفتوح (را/ ص ح ح).

ويبدو لي أن في تنوع المقاطع بين القصير المفتوح، والمتوسط المغلق والمفتوح دلالة تتناسب مع تلّون هؤلاء المنافقين تلّونًا سريعًا يتناسب مع الأحوال والظروف التي يتلونون من أجلها، وهذا لا شك فيه أثر نفسي على المجتمع كله حيث يحذر الله(ﷻ) المسلمين جميعًا من خطر هؤلاء المنافقين مع قدرته الكاملة التي لا نهاية لها على إبطال مكائدهم وإحباط أعمالهم، فهو أمر في غاية اليسر على الله (ﷻ)، ومن هذا يمكن القول أن الآيات الكريمة تبيّن بجلاء تام الأثر النفسي على كلا الفريقين المسلمين والمنافقين.

ثالثًا: دلالة صوت الفاصلة القرآنية في قوله تعالى:﴿ يَسِيرا﴾ [الأحزاب: ١٩]:

اختتمت فاصلة الآية القرآنية بالصائت الطويل الألف المسبوق بصوت الراء، فهذا الصائت الطويل بما يمتاز به من الاتساع والامتداد والاستمرار؛ لاتساع مخرجه وخروج الهواء معه حرًا طليقًا دون عائق له مما يجعله يخرج ممتدًا مستمرًا حتى ينفد [١] إلى جانب ما يتسم به من الجهر والوضوح السمعي، يحاكي وضوح الرسالة الصادرة للمسلمين بأن هؤلاء المنافقين مهما أحكموا قولهم وأفعالهم للإيقاع بالمسلمين ومحاولة النيل منهم فإحباط أعمالهم أمر يسير هين على الله(ﷻ) يختص به الله (ﷻ) دون غيره حيث قال الألوسي: "يسيرًا أي: هينا سهلا عليه عزّ وجلّ، وتخصيص (يسره) بالذكر مع أن كل شيء عليه تعالى يسير؛ لبيان أن أعمالهم بالإحباط المذكور؛ لكمال تعاضد الحِكم المقتضية له، وعدم مانع عنه بالكلية." [٢]

كما أن في الراء التي تسبقه بما فيها من التكرار الدال على الاستمرار والذلاقة الدالة على السرعة والخفة دلالة على استمرار الله (ﷻ) في إحباط أعمالهم بسهولة

---

(١) الأصوات العربية وصف وتحليل – د/ عبد التواب مرسي حسن الأكرت صـ١٢٠-١٢١

(٢) روح المعاني للألوسي ١١/ ١٦٤

ويسر لا حدود له كلما تكررت .

كما يبدو لي أن الفاصلة القرآنية انتهت بالمقطع الصوتي المفتوح(را)(ص ح ح)؛ لبيان أن حد اليسر –هنا– ليس له نهاية ؛ لأن المختص به الله (ﷻ) دون غيره، وهذا له من سيء الأثر النفسي على المنافقين ما له ؛ لعلمهم بأن إحباط أعمالهم أمر هين يسير على الله (ﷻ)، وله من عظيم الأثر النفسي على المسلمين ما له من طمأنينة النفس؛ لعلمهم أنهم في رعاية الله (ﷻ) ولن يمكن منهم عدوًا أبدا.

يضاف إلى ذلك أن الفاصلة بأصواتها ككل تخدم هذا المعنى حيث تدل الكلمة بأسرها على معنى السهولة واليسر والانفتاح، حيث قال ابن فارس: إن" الْيَاء وَالسِّين وَالرَّاء: أَصْلَانِ يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى انْفِتَاحِ شَيْءٍ وَخِفَّتِهِ....،ومنه الْيُسْرُ: ضِدُّ الْعُسْرِ."[1]

وهذا فيه ما فيه من أثر على النفس لا يدركه إلا كل متأمل تأملا دقيقًا للتعبير القرآني .

رابعاً: بعض الألفاظ التي آثرها القرآن دون غيرها :

أ– أَشِحَّةً :

أثر التعبير القرآني لفظ (أَشِحَّة) في وصف المنافقين دون غيره من الألفاظ مثل بخلاء أو غيره، وذلك ؛ لما في مادة (ش ح ح) من دلالة على المنع، وشدة البخل مع الحرص حيث قال ابن فارس:" الشِّينُ وَالْحَاءُ، الْأَصْلُ فِيهِ الْمَنْعُ، ثُمَّ يَكُونُ مَنْعًا مَعَ حِرْصٍ. مِنْ ذَلِكَ الشُّحُّ، وَهُوَ الْبُخْلُ مَعَ حِرْصٍ. وَيُقَالُ تَشَاحَّ الرَّجُلَانِ عَلَى الْأَمْرِ، إِذَا أَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْفَوْزَ بِهِ وَمَنَعَهُ مِنْ صَاحِبِهِ."[2]

---

(١) مقاييس اللغة ٦/ ١٥٥(ي س ر)

(٢) مقاييس اللغة ٣/ ١٧٨(ش ح ح)

وقال ابن سيده:" الشُّحُّ: حِرْص النفْس على مَا مَلَكَتْ وبخلُها بِهِ." [١]

وزاد ابن الأثير: أن" الشُّحَّ: أشدُّ البُخْل، وَهُوَ أبلَغُ فِي الْمَنْعِ مِنَ البُخل." [٢]

فالتعبير بالشُّحِّ –هنا– الذي يدل على المنع مع شدة حرص النفس على ما تملك وما لا تملك يعكس مدى حرصهم الشديد على ما يملكون من نفس وأموال، بل ومنعهم لجميع وجوه الخير أن تصل إلى المسلمين، وإصرار أنفسهم على ذلك، حيث قال البقاعي:" الشُّحّ هو التناهي في البخل، فهو بخل بما في اليد وأمر للغير بالبخل فهو بخل إلى بخل خبيث قذر متمادٍ فيه مسارع إليه." [٣]

وبالنظر إلى لفظي الشُّحّ والبخل وإن دلَّ كلاهما على المنع ؛ إلا أن المنع في الشُّحّ أمر خفي يتعلق بالنفس البشرية التي بها من الخفاء ما بها، فالشُّحّ هو الحالة النفسية التي تقتضي ذلك المنع؛ لأنه " حالة غريزة جُبِلَ عليها الإنسان فصارت كالوصف اللازم له، ومركزها النفس"[٤] ؛ لذا جاءت أصوات مادة (ش ح ح) التي تتألف منها لفظة (الشُّحّ) أصوات مهموسة تمتاز بالخفاء ؛ لتتناسب بخفائها مع خفاء صفة الشُّحّ باعتبارها ناشئة عن أثر نفسي يمنع العطاء فهو أمر غير ظاهر فناسبه الأصوات المهموسة، بينما البخل فهو أمر ظاهر؛ لأن البخل هو ذات المنع

---

(١)المحكم لابن سيده ٢/ ٤٨٩(ش ح ح)–

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر–مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير (ت:٦٠٦هـ)–تح:طاهر أحمد الزاوى–ومحمود محمد الطناحي ٢/ ٤٤٨– المكتبة العلمية – بيروت–(د–ط)، ١٣٩٩هـ–١٩٧٩م

(٣) نظم الدرر للبقاعي ١٥/ ٣١٤

(٤) معجم الفروق اللغوية– لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)–تح : الشيخ بيت الله بيات ١/ ٢٩٦– مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»–ط: الأولى، ١٤١٢هـ

نفسه فهو شيء مدرك ؛ لذا جاء فيه حرفين مجهورين الباء واللام، ويضاف إلى ذلك أن الخاء مهموسة مستعلية فيها قوة ظهور وقوة منع بخلاف الشح فهو شيء خفي، ويؤيد ذلك قول الرازي: "اعْلَمْ أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ هُوَ أَنَّ الْبُخْلَ نَفْسُ الْمَنْعِ، وَالشُّحَّ هُوَ الْحَالَةُ النَّفْسَانِيَّةُ الَّتِي تَقْتَضِي ذَلِكَ الْمَنْعَ، فَلَمَّا كَانَ الشُّحُّ مِنْ صِفَاتِ النَّفْسِ، لَا جَرَمَ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾ [الحشر: ٩]"(١)

ب- إيثار فعلي المجيء والذهاب مع الخوف في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ ﴾ [الأحزاب: ١٩]

أولا :آثر التعبير القرآني فعل المجيء مع الخوف في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ ﴾ [الأحزاب: ١٩]؛ لما فيه من دلالة على الإتيان وغلبة المجيء، حيث قال ابن فارس إن:" الْجِيم وَالْيَاء وَالْهَمْزَة كَلِمَتَانِ مِنْ غَيْرِ قِيَاسٍ بَيْنَهِمَا. يُقَالُ جَاءَ يَجِيءُ مَجِيئًا. وَيُقَالُ جَاءَانِي فَجِئْتُهُ، أَيْ غَالَبَنِي بِكَثْرَةِ الْمَجِيءِ فَغَلَبْتُهُ." (٢)

وقال الراغب: "المجيء كالإتيان، لكن المجيء أعمّ، لأنّ الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتبارا بالحصول، ويقال: جاء في الأعيان والمعاني، ولما يكون مجيئه بذاته وبأمره، ولمن قصد مكانا أو عملا أو زمانا." (٣)

فأسند فعل المجيء في الآية الكريمة إلى الخوف ؛ لما فيه من دلالة على الغلبة وتحقق الأمر وحدوثه فكأن الخوف من الموت والقتل سيطر عليهم حتى إنهم صاروا

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٢٩/ ٥٠٨

(٢) مقاييس اللغة ١/ ٤٩٧(ج ي ء)

(٣) المفردات في غريب القرآن ١/ ٢١٢(ج ي ء)

يتوقعون القتل من أي جهة كانت من العدو فـ"المجيء: إتْيَان من أَي وَجه كَانَ." [١]

مما أصابهم بالفزع والهلع حتى صارت أعينهم تدور في رؤوسهم كحال الذي يغشى عليه من سكرات الموت، ويؤيد ذلك إقامة الخوف مقام القتال في الآية الكريمة ففيه " إشارة إلى أن المنافقين أجبن الناس، وأشدهم حرصا على الحياة، وأن مجرد ذكر كلمة الحرب عندهم تملأ قلوبهم فزعًا ورعبًا- فالحرب بالإضافة إليهم، خوف متجسد." [٢] وبالنظر إلى أصوات الفعل(جاء) الذي يبدأ بصوت الجيم الشديد الذي يمثل بدء مجيء الخوف بقوة وشدة في نفوس هؤلاء المنافقين ؛ ليأتي الصائت الطويل الألف الذي يمثل حالة ترقب القتال التي تؤدي إلى تصاعد هذا الخوف واشتداده حتى تنتهي اللفظة بصوت الهمزة التي هي من أثقل الحروف وأشدها ؛ لتمثل أقصى مراحل الخوف التي جعلت أعينهم تدور كالذي يغشى عليه من الموت فزعًا وخوفًا، ويؤيد ذلك قول ابن عاشور: "الخَوْفُ: تَوَقُّعُ الْقِتَالِ بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ... وَالْمَقْصُودُ: وَصْفُهُمْ بِالْجُبْنِ، أَيْ: إِذَا رَأَوْا جُيُوشَ الْعَدُوِّ مُقْبِلَةً رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ." [٣] بخلاف إذا قلنا (أتى) التي تبدأ بالهمزة الشديدة ثم التاء المهموسة وتنتهي بحرف اللين مما يدل على أن الخوف وإن بدأ بقوة وشدة إلا أنه لم يسيطر على نفوسهم حتى يصلوا إلى الحالة التي وصف بها القرآن الكريم جبنهم وخوفهم حتى صارت تدور أعينهم خوفًا وفزعًا .

كما أن المجيء فيه صعوبة تتناسب مع مجيء الخوف وحصوله ؛ لما فيه من الترقب والانتظار الذي يجعل في إتيانه مشقة وعناء على النفس؛ لما سبقه من حالة

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري ٣٠٦/١

(٢) التفسير القرآني للقرآن ١١/ ٦٧٤

(٣) التحرير والتنوير ٢١/ ٢٩٦

الترقب والانتظار، بينما الإتيان فيه سهولة؛ تتناسب مع حصول الخوف ووقوعه دون ترقب أو انتظار فيكون أثره على النفس أقل من المجيء.

ثانيًا: آثر التعبير القرآني فعل الذهاب مع الخوف في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ [الأحزاب: ١٩]؛ لما فيه من دلالة على المضي وزوال الأثر، حيث قال ابن فارس:" الذَّالُ وَالْهَاءُ وَالْبَاءُ أُصَيْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُسْنٍ وَنَضَارَةٍ. مِنْ ذَلِكَ الذَّهَبُ مَعْرُوفٌ...فَهَذَا مُعْظَمُ الْبَابِ. وَبَقِيَ أَصْلٌ آخَرُ، وَهُوَ ذَهَابُ الشَّيْءِ: مُضِيُّهُ. يُقَالُ ذَهَبَ يَذْهَبُ ذَهَابًا وَذُهُوبًا. وَقَدْ ذَهَبَ مَذْهَبًا حَسَنًا." (١) وجاء في الوسيط:" ذهب الْأَثَرُ: زَالَ وامَّحى." (٢)

مما يحاكي حالة الطمأنينة والجرأة التي كانوا عليها حالة الأمن حيث أطلقوا العنان لألسنتهم الحادة بإلقاء اللوم على المسلمين ؛ لتعرضهم للخطر من المشركين أو محاولتهم الحصول على الغنائم طمعًا ورغبة في أخذ حق الغير حيث زال عنهم ذلك الخوف بـ" زَوَالِ أَسْبَابِهِ بِأَنْ يُتْرَكَ الْقِتَالُ أَوْ يَتَبَيَّنَ أَنْ لَا يَقَعَ قِتَالٌ. وَذَلِكَ عِنْدَ انْصِرَافِ الْأَحْزَابِ عَنْ مُحَاصَرَةِ الْمَدِينَةِ"(٣)

وبالنظر إلى أصوات الفعل(ذهب) الذي يبدأ بالذال المجهورة، ثم يليها الهاء المهموسة، وينتهي بالباء المجهورة ؛ ليتناسب مع ظهور أثر زوال الخوف من نفوسهم بذهاب أسبابه ؛ خاصة بوقوع الهاء المهموسة بين صوتين مجهورين ؛ لتمثل شيء من هدوء النفس واستقرارها مما جعلهم يطلقون ألسنتهم في المؤمنين دون خوف أو حياء ؛ بعد ما كان منهم من الجبن والخوف حال البأس .

---

(١) مقاييس اللغة ٢/ ٣٦٢(ذ هـ ب)

(٢) المعجم الوسيط ٣١٦/١(ذ هـ ب)

(٣) التحرير والتنوير ٢١/ ٢٩٧

فإسناد فعل المجيء إلى الخوف قد علل ؛ لحالة الجبن والفزع التي كانوا عليها حال القتال، وإسناد فعل الذهاب إلى الخوف علل ؛ لانطلاق ألسنتهم وارتفاع أصواتهم على المسلمين بغليظ الكلام الذي يسبب الأذى للسامع.

خامساً: الأداءات غير الصوتية[1] المصاحبة للغة المنطوقة:

على الرغم من أن اللغة المنطوقة هي الوسيلة الرئيسة في التواصل البشري، إلا أنه ورد في القرآن الكريم كثير من الآيات التي استعملت فيها لغة الجسد كلغة للتواصل يستشرف منها القارئ أهمية لغة الجسد عما يجول في الخطاب القرآني، حيث إن لغة الجسد تسهم إلى حد كبير في الإبانة والكشف عن مكنونات النفس من مشاعر وانفعالات، كما أنها وسيلة من وسائل الاتصال والإبانة والكشف عن الرسالة التي يسعى القرآن إلى إيصالها للمتلقي.[2]

قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب: ١٩]

ذهب ابن فارس إلى أن:" الدَّال وَالْوَاو وَالرَّاء أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْدَاقِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ مِنْ حَوَالَيْهِ."[3]

آثر القرآن الكريم التعبير بلفظ (تدور) وصفًا لحركة أَعْيُنهم " المُضْطَرِبَة فِي أَجْفَانِهَم كَحَرَكَةِ الْجِسْمِ الدَّائِرَةِ مِنْ سُرْعَةٍ تَنْقُلُهَا مُحَمْلِقَةٍ إِلَى الْجِهَاتِ الْمُحِيطَةِ."[4]

---

(١) تتمثل الأداءات الصوتية في : الوقفات –التنغيم –والنبر –والتزمين– والإيقاع

(٢) ينظر بحث بعنوان (من قصص النساء في القرآن الكريم دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي)– د سوسن الهدهد صـ٧٥٦–جامعة الأزهر –كلية التربية – العدد ١٦١–ج٢–٢٠١٤م

(٣) مقاييس اللغة ٢/٣١٠(د و ر)

(٤) التحرير والتنوير ٢١/ ٢٩٧

إشارة إلى شدة خوفهم وحذرهم من أن يأتيهم الموت من أي اتجاه بسبب اشتداد القتال، فسيطر عليهم الخوف حتى صار كأنه ينتزع أرواحهم فيصيروا كمن يغشى عليه من الموت فتضطرب عيناه، حيث يقال للميت " إِذَا شَخَصَ بَصَرُهُ: دَارَتْ عَيْنَاهُ، وَدَارَتْ حَمَالِيقُ عَيْنَيْهِ"(١)

ويؤيد ذلك السياق اللغوي الذي يتمثل في قوله تعالى:﴿ كَٱلَّذِى يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ ﴾ [الأحزاب:١٩]؛ حيث " شَبَّهَ نَظَرَهُمْ بِنَظَرِ الَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ بِسَبَبِ النَّزْعِ عِنْدَ الْمَوْتِ فَإِنَّ عَيْنَيْهِ تَضْطَرِبَانِ." (٢)

فهذه الحركة الجسدية غير الإرادية للعين التي تتمثل في قوله تعالى :﴿ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ ﴾ تعكس الحالة النفسية التي كان عليها هؤلاء المنافقون حالة الحرب فقد أحاطت بهم وحاصرتهم فصاروا فزعين خائفين دائرة أعينهم من شدة الخوف والجبن ناظرين إلى النبي (ﷺ)" نَظَرَ الْهَلُوعِ الْمُخْتَلِطِ النَّظَرِ، الَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ." (٣)، ويؤيد ذلك أيضًا أن " جملة تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ جاءت حَال مِنْ ضَمِيرِ يَنْظُرُونَ؛ لِتَصْوِيرِ هَيْئَةِ نَظَرِهِمْ نَظَرَ الْخَائِفِ الْمَذْعُورِ الَّذِي يُحْدِقُ بِعَيْنَيْهِ إِلَى جِهَاتٍ يَحْذَرُ أَنْ تَأْتِيَهُ الْمَصَائِبُ مِنْ إِحْدَاهَا." (٤)

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٤/ ٣١٠

(٢) التحرير والتنوير ٢١/ ٢٩٧

(٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٨/ ٤٦٤

(٤) التحرير والتنوير ٢١/ ٢٩٧

المطلب الثاني

الدلالة الصرفية في ضوء علم اللغة النفسي

***دلالة الصفة المشبهة أشحّة[1] على وزن (أفْعِلَةٍ) في قوله تعالى:﴿أَشِحَّةً عَلَيكُم﴾[الأحزاب:١٩] :**

استعمل القرآن الكريم الصفة المشبهة(أَشِحَّةً)؛ لما في الصفة المشبهة من دلالة على الثبوت والدوام التي تتناسب مع ملازمة الشُّحّ لنفس المنافق ملازمة لا تفارقه؛ حيث قال الرازي "فَاعْلَمْ أَنَّ الشُّحَّ هُوَ الْبُخْلُ، وَالْمُرَادُ أَنَّ الشُّحَّ جُعِلَ كَالْأَمْرِ الْمُجَاوِرِ لِلنُّفُوسِ اللَّازِمِ لَهَا، يَعْنِي أَنَّ النُّفُوسَ مَطْبُوعَةٌ عَلَى الشُّحِّ." [2]

فيمكن القول أن صفة الشُّحّ صفة ثابتة متأصلة في المنافق جبلت نفسه عليها، وأبرز ما يدل على ذلك قول الله تعالى:﴿ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ ﴾ النساء:١٢٨) حيث " جُعل الشح حاضرًا مع النفوس لا يغيب عنها؛ لأنها جبلت عليه، والشّحّ هو ألاَّ يسمح الإنسان لغيره بشيء من حظوظ نفسه." [3] أي أنه لا يبخل فقط بما يملك بل ويحرص على منع وجوه الخير عن الغير بمحاولة الاستيلاء على حقه فإذا حصل عليه وناله بخلت به نفسه، فهو حرص النفس على ما تملك وما تريد أن تملك

---

(١) أشحّة: "جمع شحيح صفة مشبّهة من الثلاثيّ شحّ بمعنى بخل، وهذا الجمع- وزنه أَفْعِلَةٍ - غير قياسيّ، فقياس فعيل الوصف الذي اتّحدت عينه ولامه أن يجمع على أفعلاء ،وقد سمع أشحّاء." الجدول في إعراب القرآن الكريم-لمحمود بن عبد الرحيم صافي (ت:١٣٧٦هـ)-٢١/ ١٤٤- دار الرشيد، دمشق-مؤسسة الإيمان، بيروت-ط: الرابعة، ١٤١٨هـ-(د-ت)

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ١١/ ٢٣٧

(٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن-لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت:٩١١هـ)- ٣/ ٢٦٥- دار الكتب العلمية-بيروت – لبنان-ط:الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨ م

ويؤيد ذلك أن من "الشُّح: أَنْ تَأْخُذَ مَالَ أَخِيك بِغَيْرِ حَقِّ." [١]

وقد آثر القرآن الكريم الجمع بصيغة (أَفْعِلَةٍ) في (أشحة) وهو على وزن على غير قياس؛ للدلالة على ندرة هذه الصفة وقلتها فلا يتصف بها إلا من اتصف بالنفاق وخلا قلبه من الإيمان حيث لا يجتمع الشُّحّ والإيمان في قلب عبد مؤمن أبدا، فهي صفة تنفي الإيمان من القلب؛ ولذلك جاءت على جمع على غير قياس؛ حيث روي عن أبي هُرَيْرَة، عَنِ النَّبِيِّ(ﷺ) قَالَ: «لَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ»[٢] فالإيمان يلزمه الإيثار وبذل النفس والجهد والمال في سبيل الله أما "الشُّحّ: ضِدّ الإيثار؛ فإنَّ المؤثِر على نفسه تارك لما هو محتاج إليه، والشحيح حريص على ما ليس بيده، فإذا حصل بيده شَحَّ وبَخِل بإخراجه." [٣]

---

(١) أحكام القرآن-لأحمد بن علي أبي بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت:٣٧٠هـ)-تح: محمد صادق القمحاوي ٥/ ٣٢٥- دار إحياء التراث العربي – بيروت-١٤٠٥هـ-(د-ط-ت)

(٢) مسند أبي داود الطيالسي-لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى(ت:٢٠٤هـ)-تح:د/محمد بن عبد المحسن التركي ٤/ ٢٠٧(ح/ ٢٥٨٣)- دار هجر-مصر-ط:الأولى،١٤١٩هـ-١٩٩٩ م

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز- لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)- تح: محمد علي النجار ٣/ ٣٠٠- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة- ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

***دلالة الصفة المشبهة (حِدَاد) [1] على وزن (فِعَال) في قوله تعالى:﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾[الأحزاب:١٩]:**

وصفت الألسنة –هنا– بالصفة المشبهة(حِدَاد) الدالة على ثبوت صفة الحدّة ودوامها في كلامهم مما يتناسب مع الأصلين اللغويين لمادة (ح د د) وهما المنع وطرف الشيء كـ(حد السيف) حيث قال ابن فارس: "الْحَاءُ وَالدَّالُ أَصْلَانِ: الْأَوَّلُ الْمَنْعُ، وَالثَّانِي طَرَفُ الشَّيْءِ. فَالْحَدُّ: الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ. وَفُلَانٌ مَحْدُودٌ، إِذَا كَانَ مَمْنُوعًا... وَسُمِّيَ الْحَدِيدُ حَدِيدًا؛ لِامْتِنَاعِهِ وَصَلَابَتِهِ وَشِدَّتِهِ. وَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ فَقَوْلُهُمْ: حَدُّ السَّيْفِ وَهُوَ حَرْفُهُ، وَحَدُّ السِّكِّينِ. وَحَدُّ الشَّرَابِ: صَلَابَتُهُ. [2]

فكلامهم من شدة غلظه وأثره السيء على النفس كان مانعًا قويًّا للتواصل والتراحم، فقد كانت ألسنتهم جارحة، ذلقة في الحديث تؤدي إلى القطيعة والخصام، يتكلمون بألفاظ "مؤثرة في الإعراض تأثير الحديد في الأجسام، حالة كونهم بخلاء على المال، حريصين على أخذ الغنائم." [3]

---

(١) حداد:"جمع حديد بمعنى القاطع وزنه فعيل، صفة مشبّهة من الثلاثيّ حدّ السيف أي: ردّه وأصبح قاطعا، ووزن حداد فِعال بكسر الفاء.. وثمّة جمع آخر هو أحدّاء زنة أفعلاء." الجدول في إعراب القرآن ٢١/ ١٤٤

(٢) مقاييس اللغة ٢/ ٤(ح د د)

(٣) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن–لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي– راجعه:د/هاشم محمد علي بن حسين مهدي ٢٢/ ٤٦٨– دار طوق النجاة، بيروت– لبنان–ط:الأولى، ١٤٢١هـ–٢٠٠١ م

كما أنها كانت حادة كحد السيف قاطعة ذربة سليطة حالة الأمن؛" لقَطْعِها المعاني ونفوذِها في الأقوال." [١] فهي:" حادة فصيحة بملء الفم." [٢]

فالوصف بكلمة (حِدَاد) تعكس حالة الحِدَّة والعنف التي يكون عليها المنافق عندما يأمن ما يخافه، فالمنافقون هم أحدّ الناس ألسنة في حالة الأمن وذهاب الخوف عن قلوبهم. حيث قالت د/ عائشة بنت الشاطئ إن" ملحظ الحِدَّة والعنف واضح في: (بِأَلسِنَةٍ حِدَادٍ)، وفي لجج المحادة ولَدَد الجدل."[٣]

*دلالة جمع القلة في (بِأَلسِنَةٍ) على وزن أفعلة:

جاء لفظ (ألسنة) في الآية الكريمة على وزن (أفعلة) وهو وزن من أوزان القلة ؛ للدلالة على حقارة أصحاب هذه الألسنة وحقارة ما صدر عنهم من أقوال تناولت المسلمين بالنقص والغيبة حين البأس فقد تناولوهم تناول جرأة ووقاحة ناسين ما كانوا عليه من جبن وخوف حين البأس، ويؤيد ذلك تنكير لفظ (الألسنة) الذي قد يراد به التحقير[٤] من شأن هؤلاء من المنافقين؛ لانحطاط قدرهم وحقارة ألسنتهم، وذلك فيه من عظيم الأثر النفسي على المسلمين الذي يتمثل في التسرية عن نفوس

---

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن –لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)–تح: محمد علي معوض– عادل أحمد عبد الموجود ٤/ ٣٤٠– دار إحياء التراث العربي – بيروت–ط: الأولى – ١٤١٨ هـ

(٢) تفسير الشعراوي – الخواطر –لمحمد متولي الشعراوي (ت:١٤١٨هـ)–١٩/ ١١٩٧٥– أخبار اليوم–(د–ط)–١٤١١هـ–١٩٩١م

(٣) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق – لـ عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت: ١٤١٩هـ)(صـ٤١٠)– دار المعارف–ط: الثالثة.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة–لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبي المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت:٧٣٩هـ)–تح: محمد عبد المنعم خفاجي ٣٦/٢– دار الجيل – بيروت–ط: الثالثة–(د–ت)

المسلمين بأن هؤلاء المنافقين مهما بلغت ألسنتهم من الحِدَّة للنيل من المسلمين فإن كلامهم مما لا يعبأ به ؛ لحقارة من صدر عنه.

كما له من سيء الأثر النفسي على نفوس المنافقين ما سببه لهم من الحزن والألم لمعرفتهم أن القرآن الكريم أظهر حقيقتهم وحقّر من شأنهم وشأن ألسنتهم الطاعنة طعن السيوف بدلالة قوله تعالى :﴿ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (الاحزاب: ١٩).

ويبدو لي أن في جمع القلة أيضًا دلالة على قلة عددهم بالنسبة إلى المسلمين وإن كان لا يعلمهم إلا الله ورسوله حيث قال الله تعالى :﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ [محمد: ٣٠]

ويؤيد ذلك أن هؤلاء المنافقين كانوا خافين متسترين وسط المسلمين ينافقون يظهرون خلاف ما يبطنون من الكفر والعصيان خوفًا من النبي(ﷺ) والمسلمين.

المطلب الثالث

الدلالة التركيبية في ضوء علم اللغة النفسي

***دلالة جملة الشرط في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ ٱلخَوفُ رَأَيتَهُم [الأحزاب:١٩]:**

جاءت جملة الشرط في الآية الكريمة مكونة من(إذا الشرطية+ فعل الشرط جاء+ جواب الشرط رأيتهم) :

آثر التعبير القرآني استعمال (إذا) الشرطية بدلا من (إن) الشرطية في جملة الشرط في الآية الكريمة؛ لما في (إذا) من دلالة على حصول الشرط ووقوعه حيث إن "الأصل في (إذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه"[١] ويؤيد ذلك مجيء فعل الشرط (جاء) ماضيًا[٢]؛ لدلالته على الحصول والوقوع، فهو أقرب إلى اليقين في الحصول من المستقبل، فجملة الشرط في قوله تعالى :﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ ﴾ [الأحزاب:١٩] فيها دلالة على تحقق وقوع الخوف ومجيئه، حيث ذهب ابن فارس إلى أن: "الْخَاء وَالْوَاو وَالْفَاء أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الذُّعْرِ وَالْفَزَعِ." [٣] وقال الراغب: "الخَوْف: توقّع مكروه عن أمارة مظنونة، أو معلومة." [٤]

---

(١) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة ٢/ ١١٧

(٢) تأتي (إذا) " ظرفا للمستقبل مضمنة معنى الشَّرْط وتختص بِالدُّخُولِ على الْجُمْلَة الفعلية... وَيكون الْفِعْل بعْدهَا مَاضِيا كثيرا ومضارعا دون ذَلِك." مغني اللبيب عن كتب الأعاريب–لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبي محمد، جمال الدين، ابن هشام(ت:٧٦١هـ)– تح:د. مازن المبارك –ود/محمد علي حمد الله صـ ١٢٧– دار الفكر– دمشق–ط:السادسة، ١٩٨٥م

(٣) مقاييس اللغة٢/٢٣٠(خ و ف)

(٤) المفردات في عريب القرآن صـ٣٠٣ (خ و ف)

والخوف في الآية الكريمة يراد به أمران حصول البأس والقتال، ووقوع الخوف والفزع في نفوس المنافقين بحصول القتال ووقوعه حيث قال عبد الكريم الخطيب:" فهم إذا جاء الخوف، أي حضر البأس والقتال...وقد عبر القرآن عنه بالخوف، بالإضافة إليهم؛ لأن القتال يطلع عليهم بما يملأ نفوسهم خوفًا وهلعًا." (١)

وعليه فالخوف–هنا– يراد به دلالة حقيقية، ودلالة معنوية، فالدلالة الحقيقية تتمثل في حصول القتال ووقوعه وهذا يؤكده سياق الموقف؛ لمحاصرة الأحزاب للنبي(ﷺ) والمؤمنين، أما الدلالة المعنوية فهي تتمثل في حصول الخوف ووقوعه في قلوب هؤلاء المنافقين بحصول القتال وإتيانه؛ ولذا جاء بجملة جواب الشرط (رأيتهم) دون (نظرتهم)؛ لما فيها من دلالة على تحقق فعل الرؤية من جانب الرسول(ﷺ) وإدراك رؤيته لخوفهم وفزعهم من القتال بالبصر والبصيرة، حيث إن :"الرَّاء وَالْهَمْزَة وَالْيَاء أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نَظَرٍ وَإِبْصَارٍ بِعَيْنٍ أَوْ بَصِيرَةٍ"(٢) و" النظر: تقليب العين حيال مكان المرئي طلبا لرؤيته، والرؤية هي إدراك المرئي." (٣) ؛ ولذا فقد كان توجيه "الخطاب فِي قوله تعالى:﴿ رَأَيتَهُم﴾[الأحزاب:١٩] لِلنَّبِي (ﷺ) يَقْتَضِي أَنَّ هَذَا حِكَايَةُ حَالَةٍ وَقَعَتْ لَا فَرْضُ وُقُوعِهَا وَلِهَذَا أُتِيَ بِفِعْلِ (رَأَيْتَهُمْ) وَلَمْ يَقُل: فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ." (٤) أي نظرتهم ينظرون إليك.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن١١/ ٦٧٤

(٢) مقاييس اللغة٢/٤٧٢ (ر أ ي)

(٣)الفروق اللغوية – لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت:نحو ٣٩٥هـ)– تح:محمد إبراهيم سليم صـ ٥٤٣– دار العلم والثقافة للنشر–(د–ط)–١٤١٨هـ–١٩٩٧م

(٤) التحرير والتنوير ٢١/ ٢٩٥

فالدلالة التركيبية–هنا– تجسد حالة خوف هؤلاء المنافقين وفزعهم من القتال وإدراك الرسول الكريم (ﷺ) لهذا الخوف ببصره وقلبه على الرغم أنهم لم يلبثوا في هذا القتال " إِلَّا زَمَانًا قَلِيلًا، وَهُوَ زَمَانُ حُضُورِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ الْمُرَابِطِينَ." (١)

ومثله قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم ﴾ [الأحزاب:١٩]

فدخول (إذا) الشرطية على الفعل الماضي(ذهب) فيه دلالة على ذهاب الخوف بـ " زَوَالِ أَسْبَابِهِ بِأَنْ يُتْرَكَ الْقِتَالُ أَوْ يَتَبَيَّنَ أَنْ لَا يَقَعَ قِتَالٌ. وَذَلِكَ عِنْدَ انْصِرَافِ الْأَحْزَابِ عَنْ مُحَاصَرَةِ الْمَدِينَةِ "(٢) فإذا صاروا في حال الأمن والطمأنينة " أطلقوا لألسنتهم العنان في النبي(ﷺ) والمسلمين، بكل بهتان من القول، وخبيث من الكلم وفخروا بما لهم من المقامات المشهودة فى النجدة والشجاعة." (٣)

ومما سبق يتبين أن التعبير بجملة الشرط بـ (إذا) ودخولها على الجملة الفعلية الماضية فيه:

١– دلالة على أن ذلك الشرط متيقن الحصول مما يتناسب مع حال المنافقين الذين يتقلبون وفق الأحوال والظروف.

٢– دلالة على أن من طبيعة المنافقين أن تظهر عليهم أمارات الخوف عند بدء المعركة والقتال فهم جبناء بطبيعتهم، فإذا ذهب الخوف وأمنوا القتال بدت منهم سلاطة اللسان فهم " أحدّ الناس ألسنة، وأكثرهم قولا، وأقلهم فعلا "(٤) ويؤيد ذلك أن القرآن الكريم أخبر بما يدل على جبنهم بقوله تعالى:﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟

(١) التحرير والتنوير ٢١/ ٢٩٥
(٢) التحرير والتنوير ٢١/ ٢٩٧
(٣) تفسير المراغي ٢١/ ١٤٤
(٤) التفسير القرآني للقرآن ٦٧٥/١١

وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ٢٠ ﴾(الأحزاب :٢٠) أي" يحسب المنافقون من شدة خوفهم وجُبنهم أن الأحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا، وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ أي: يَرجعوا إليهم كَرَّةً ثانية للقتال يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ أي: يتمنَّوا لو كانوا في بادية الأعراب من خوفهم"(١)

- دلالة الجملة الفعلية الماضية المتمثلة في قوله تعالى:﴿سَلَقُوكُم﴾[الأحزاب :١٩]

جاءت جملة جواب الشرط (سَلَقُوكُم) تتكون من(الفعل الماضي (سلق) +واو الجمع للفاعل+ كاف المخاطبين+ ميم الجمع الدالة على عدد المخاطبين)

أسند فعل السلق باللسان في الآية الكريمة بصيغة الماضي للمنافقين؛ للدلالة على أن هذا الفعل تحقق وقوعه منهم فقد آذوا المسلمين بكلام غليظ يؤثر في نفوسهم حيث تناولوهم تناولا صعبًا جرأة ووقاحة، ناسين ما وقع منهم من الجبن والخوف حين القتال.

كما أن ذكر كاف الخطاب مع ميم الجمع؛ فيه دلالة على أنهم شملوا بكلامهم جميع المخاطبين ومنهم رسول الله (ﷺ) فالنبي الكريم لم يسلم من سلاطة ألسنتهم.

وبالتأمل في اجتماع الضمائر مع اتصالها مع وجود ميم الجمع علمًا بأنه قد سبق من التعبير ما هو متضمن ما تعود إليه هذه الضمائر؛ إلا أن اجتماع هذه الضمائر واتصالها قد يكون فيه دلالة على المخالطة الكاملة بين هؤلاء المنافقين والمسلمين وتوغلهم داخل صفوفهم وإن كانوا في حقيقة الأمر لا ينتمون إليهم لا

---

(١) زاد المسير في علم التفسير-لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ)-تح: عبد الرزاق المهدي ٣/ ٤٥٥- دار الكتاب العربي – بيروت-ط:الأولى-١٤٢٢هـ

عملا ولا إيمانًا؛ لذا حذر الله (ﷻ) رسوله الكريم بأنهم هم العدو فاحذرهم في قوله تعالى:﴿ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(المنافقون :٤)

***دلالة الجملة الفعلية المضارعة المتمثلة في قوله تعالى :﴿يَنظُرُونَ إِلَيكَ﴾ [الأحزاب:١٩]:**

آثر التعبير القرآني التعبير بصيغة المضارع (ينظرون) الذي يدور أصله اللغوي حول معنى واحد " وَهُوَ تَأَمُّلُ الشَّيْءِ وَمُعَايَنَتُهُ." (١)

كما يدور معناه في الآية الكريمة حول تأويلين:" أحدهما: أنهم يلوذون بك من الخوف فلا يرفعون بصرهم عنك، والثاني: أن معناه: بيان حالتهم عند الخوف." (٢)

فالتعبير بصيغة المضارع –هنا– تتناسب أشد مناسبة مع ما يدور في نفوس هؤلاء المنافقين كلما رأوا جيوش العدو مقبلة عليهم رأيتهم دائمو النظر إلى النبي الكريم (ﷺ) في تجدد وتكرار حيث قال ابن عاشور:" جِيءَ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ لِيَدُلَّ عَلَى تَكَرُّرِ هَذَا النَّظَرِ وَتَجَدُّدِهِ." (٣) وذلك فيه" إِشَارَةٌ إِلَى غَايَةِ جُبْنِهِمْ وَنِهَايَةِ رَوْعِهِمْ"(٤) فهم ينظرون" شَزَرًا بِتَحْدِيقٍ شَدِيدٍ، كَرَاهِيَةً مِنْهُمْ لِلْجِهَادِ وَجُبْنًا عَنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ"(٥)

---

(١) مقاييس اللغة٥/٤٤٤(ن ظ ر)

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط–لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت:٤٦٨هـ)–مجموعة محققين–١٨/٢٠٧– –عمادة البحث العلمي–جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.–ط: الأولى، ١٤٣٠هـ.

(٣) التحرير والتنوير ٢١/ ٢٩٧

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ٢٥/ ١٦٢

(٥) معالم التنزيل للبغوي٩/٢٨٦–"نَظَرَ إِلَيْهِ شَزْرًا، إِذَا نَظَرَ بِمُؤْخِرِ عَيْنِهِ مُتَبَغِّضًا."مقاييس اللغة٣/٢٧١(ش ز ر)

أما اختصاص نظرهم بالنبي(ﷺ) فهو يجسد ما يدور في نفوس هؤلاء المنافقين من محاولة النيل من الرسول الكريم(ﷺ) وإلقاء اللوم عليه فـ" نَظَرُهُمْ إِلَيْهِ نظر المتفرس فِيمَا ذَا يَصْنَعُ وَلِسَانُ حَالِهِمْ يَقُولُ: أَلَسْنَا قَدْ قُلْنَا لَكُمْ إِنَّكُمْ لَا قِبَلَ لَكُمْ بِقِتَالِ الْأَحْزَابِ فَارْجِعُوا، وَهُمْ يَرَوْن أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى حَقٍّ حِينَ يُحَذِّرُونَهُ قِتَالَ الْأَحْزَابِ، وَلِذَلِكَ خَصَّ نَظَرَهُمْ بِأَنَّهُ لِلنَّبِي(ﷺ)."[1]

- دلالة التعدي بحرف الجر(على) في قوله تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيكُم ﴾ [الأحزاب:١٩]، وقوله تعالى:﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلخَيرِ ﴾ [الأحزاب:١٩]

جاءت كلمة (أشحة) متعدية بـ(على) دون الباء في قوله تعالى:﴿أَشِحَّةً عَلَيكُم ﴾ لما في(على) من دلالة على الاستعلاء، و"الِاسْتِعْلَاء أَقْوَى أَنْوَاعِ تَمَكُّنِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ"[2] ؛ فهو علو على الشيء وإتيانه من فوق[3]، مما يدل على شدة تمكن هذا الشُّح من نفوس هؤلاء المنافقين واستعلائهم به على المؤمنين فهم أشحة " بحصول نفع منهم أو من غيرهم بنفس أو مال."[4] مما جعل في التعدي بـ (على) في قوله تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيكُم ﴾[الأحزاب:١٩] دلالة على معنى الاعتداء؛ لتعديه إلى الشخص الممنوع والشيء المضنون به وهو المال والنفس[5] فقد كانوا " يَمْنَعُونَهمْ مَا

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩٧/٢١

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٢٤٢

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم – د/ محمد أمين الخضري صـ٧٣– مكتبة وهبة –ط: الأولى –١٤٠٩هـ–١٩٨٩م

(٤) نظم الدرر للبقاعي ١٥/ ٣١٤

(٥) قال ابن عاشور: "لِمَا فِي الشُّحِّ مِنْ مَعْنَى الِاعْتِدَاءِ فَتَعْدِيَتُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ أَشِحَّةً عَلَيكُم ﴾ [الأحزاب:١٩] مِنَ التَّعْدِيَةِ إِلَى الْمَمْنُوعِ." التحرير والتنوير ٢٩٦/٢١

فِي وُسْعِهِمْ مِنَ الْمَالِ أَوِ الْمَعُونَةِ، أَيْ: إِذَا حَضَرُوا الْبَأْسَ مَنَعُوا فَائِدَتَهُمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَاعُوا وَمِنْ ذَلِكَ شُحُّهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَكُلِّ مَا يُشَحُّ بِهِ." (١) .

ومن ذلك يمكن القول أن الشُّح–هنا– فيه غلظ وحِدَّة، تتناسب مع المعنى المحوري للشُّح الذي يدور حول الشدة والجفاء(٢) ؛ ليكون المعنى في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ﴾[الأحزاب:١٩]:" أنهم شِداد جُفَاةٌ غلاظ عليكم مع أنهم في غاية الخَوَر في ساعة الجِدّ." (٣)، ويؤيد ذلك أيضًا نصب (أشحةً) على أنها حال منصوبة من فاعل (سلقوكم) أي أن حالهم عند السلق بالألسنة أنهم أشحة.

كما أن قوله تعالى:﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ﴾ [الأحزاب:١٩] جاء أيضًا متعديًا بـ(على) وهو من قبيل التعدي إلى الشيء المضنون به، وكان يمكن أن يتعدى بالباء دون (على)؛ إلا أن في تعديته بـ(على) دلالة على شدة رغبتهم في استحواذهم على الخير الذي يريدون حتى صاروا مانعين له من الوصول إلى المؤمنين حريصين على الحصول عليه، فحرف الجر (على)–هنا– بما فيه من دلالة على الاستعلاء أوقع في شدة المنع ويؤيد ذلك قول البقاعي في قوله تعالى:﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ﴾: إنه" شُح مستعلٍ على الخير أي المال الذي عندهم، وفي اعتقادهم أنه لا خير غيره، شُح لا يريدون أن يصل شيء منه إليكم ولا يفوتهم شيء منه"(٤)

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩٦/٢١

(٢) قال د/ حسن جبل يدور المعنى المحوري لمادة(ش ح ح) عن " تماسك ظاهر الشيء العريض شديدًا جافًا لا ينفتح ولا ينفذ فيه أو منه شيء." المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن ٢/ ١١٠٩(ش ح ح)

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن –د/حسن جبل ٢/ ١١١٠

(٤) نظم الدرر للبقاعي ٣١٥/١٥

ويمكن القول أن هذه الدلالة التركيبية تجسد الحالة النفسية التي كانوا عليها هؤلاء المنافقين حين القتال فقد تملكهم الشُّح على المؤمنين خاصة وقت القتال بسبب شدة كرههم وعدائهم الكامن في نفوسهم للمؤمنين فأشحوا عليهم بأنفسهم وأموالهم حتى إنهم منعوا غيرهم عن مناصرتهم فهم المُعَوِّقِون لغيرهم عن نصرة المؤمنين، فهؤلاء المنافقين وصفوا بالشُّح بكل معانيه: فـ" لَمْ يُخَصِّصْ وَصْفَهُمْ مِنْ مَعَانِي الشُّحِّ، بِمَعْنًى دُونَ مَعْنًى، فَهُمْ كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَشِحَّة عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْغَنِيمَةِ وَالْخَيْرِ وَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عَلَى أَهْلِ مَسْكَنَةِ الْمُسْلِمِينَ." (١)

ومما سبق يتبين أن ذكر الشُّح في صدر الآية فيه دلالة على أنه يراد به مطلق الشُّح بما في الوسع من المال وبذل النفس والشفقة والمودة والنصرة والمعونة .

بينما الشح الثاني المذكور في الآية الكريمة فهو شُّح من نوع آخر وهو كونهم أشحاء بإيصال الخير إلى المسلمين من أي جهة سواء بحصولهم على الخير بالظفر بالغنيمة أو النَّصر. وهذا يدل على سلوك نفسي لهؤلاء المنافقين ألا وهو تمكن الشُّح في نفوسهم وقلوبهم الذي يؤدي إلى منع وجوه الخير عن الغير.

-دلالة أدوات المعاني:

أ- دلالة الباء في قوله تعالى:﴿ بِأَلسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾[الأحزاب:١٩]:

جاءت الباء في الآية الكريمة للدلالة على الإلصاق والملابسة، وقيل : الإلصاق

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن=تفسير الطبري-لمحمد بن جرير ، أبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)-تح:د/عبد الله بن عبد المحسن التركي ٥٢/١٩- دار هجر-ط:الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م

في الباء هو:" معنى لَا يفارقها[١] ؛ مما يدل على أن حدة اللسان وفصاحته شيء متأصل فيهم لا يفارقهم وأبرز ما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ (المنافقون :٤) وذلك من شدة فصاحتهم وقدرتهم على الإقناع، فقد ادَّعوا لأنفسهم النجدة والشجاعة .

ب-دلالة اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ [الأحزاب:١٩]:

جاء التعبير باسم الإشارة (أُوْلَٰٓئِكَ) وهو اسم إشارة للبعيد؛ للدلالة على التحقير والتقليل من شأن هؤلاء المنافقين فعلى الرغم من أنهم كانوا قريبين من المسلمين حاضرين معهم مخالطين لهم إلا أنهم كانوا أبعد ما يكونون عن الإيمان والمسلمين؛ فجيء باسم الإشارة (أُوْلَٰئِكَ) للبعيد ؛" لِقَصْدِ تَمْيِيزِهِمْ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ الَّتِي أُجْرِيَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْل، وَلِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُمْ أَحْرِيَاء بِمَا سَيَرِدُ مِنَ الْحُكْمِ بَعْدَ اسْمِ الْإِشَارَةِ....وَقَدْ أُجْرِيَ عَلَيْهِمْ حُكْمُ انْتِفَاءِ الْإِيمَانِ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ ﴿أُوْلَٰئِكَ لَم يُؤمِنُواْ﴾ [الأحزاب:١٩] كَشْفًا لِدَخَائِلِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُوهِمُونَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُمْ مِنْهُمْ." [٢].

وهذا التركيب يجسد حالة من التخفيف النفسي على المؤمنين مرادًا به التسلية لقلب النبي(ﷺ) والمؤمنين من أفعال هؤلاء المنافقين وأقوالهم فإن الله يعلم ما يخفون وما يظهرون من عداء وبغض للمسلمين .

كما أنه فيه دلالة على قلق المنافق واضطراب نفسه ؛ لافتضاح أمره بما أخفى في نفسه من الكفر وعدم الإيمان ويؤيد ذلك قوله تعالى:﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [محمد: ٢٩] أي:" أحسب هؤلاء

---

(١) قال ابن هشام :" الْبَاء المفردة حرف جر لأربعة عشر معنى ، أَولهَا الإلصاق ، قيل : وَهُوَ معنى لَا يفارقها فَلهَذَا اقْتصر عَلَيْهِ سِيبَوَيْهِ." مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (صـ١٣٧)

(٢) التحرير والتنوير ٢١/ ٢٩٨

المنافقون أن يظل نفاقهم مستورا، دون أن يفضحه الله ويفضحهم به على أعين الناس؟ إنهم لواهمون، مخدوعون، بما يصور لهم هذا الوهم." (١)

ويبدو لي أن هذا التركيب كان له من سيء الأثر النفسي على المنافقين ما يجعلهم يشعرون بالقلق والاضطراب؛ لافتضاح أمرهم حيث يُعد هذا التركيب بمثابة: "التشهير بهم، وفضح لهم على الملأ، وتعرية لهم من الإيمان الذي لبسوه ظاهرا، ولم يفسحوا له مكانا فى قلوبهم." (٢)

جـ- دلالة النفي بـ (لم) في قوله تعالى ﴿لَم يُؤمِنُواْ﴾[الأحزاب:١٩]

جاء الفعل المضارع (يؤمنوا) منفيًا بـ(لم) التي تخلص الفعل المضارع للمضي(٣)؛ للدلالة على تحقق حصول هذا النفي أي نفي الإيمان عن هؤلاء المنافقين حيث لم يمس الإيمان قلوبهم أبدا، وتمكن الكفر في قلوبهم، ولكن لم يمنعهم عن المجاهرة به إلا الخوف من المسلمين.

وإن كان في إيثار صيغة المضارع -هنا- دلالة على أن هذا الكلام لم يقتصر على هؤلاء المنافقين فقط بل يتعدى الأمر إلى كل من كان على شاكلتهم في المستقبل من المنافقين المتصفين بهذه الصفات الذميمة .

والتركيب كله فيه دلالة نفسية تتجسد في بث الطمأنينة في نفوس المسلمين حيث أخبر الله (ﷻ)؛ أن هؤلاء المنافقين وإن أظهروا الإيمان فليسوا بمؤمِنين،

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ١٣/ ٣٦٥

(٢) التفسير القرآني للقرآن ١١/ ٦٧٥

(٣) لم: " هي حرف نفي وجزْمٍ يجزم الفعل المضارع، ويقلبُ زمَنَهُ فيجعَلُهُ ماضيًا. " البلاغة العربية-لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت:١٤٢٥هـ)-١ /٢٠٧- دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت-ط: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦ م

لنفاقهم، فأمر هؤلاء المنافقين لا يخفى على الله وسوف يجازيهم بما في قلوبهم، وليس بما يقولون بألسنتهم .

د-دلالة الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَحبَطَ ٱللَّهُ أعمٰلَهُم ﴾[الأحزاب:١٩]

جاءت الفاء في الآية الكريمة مرادًا بها سرعة إحباط عمل الكافر من قبل الله(ﷻ) حيث ذهب ابن فارس إلى أن: "الحَاء وَالْبَاء وَالطَّاء أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى بُطْلَانٍ... يُقَالُ: أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَ الْكَافِرِ، أَيْ أَبْطَلَهُ." (١)

كما أن مجيء الفعل (أحبط) متعديًا بالهمزة ؛ فيه دلالة على التهويل والتعظيم لفعل الإحباط فهو أمر اختص به الله (ﷻ) دون غيره بدلالة قوله تعالى:﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرا ﴾ أي: ذلك" الإحباط العظيم مع ما لهم من الجرأة في الطلب والإلحاف عند السؤال وقلة الأدب على الله يسيرًا بما له من صفات العظمة التي تخشع لها الأصوات، وتخرس الألسُن الذَّرِبات ؛ لأنه لا نفع إلا منه وهو الواحد القهار، وأما غيره فإنما عسر عليه ذلك." (٢)

وهذه الدلالة التركيبية كان لها من الأثر النفسي على المؤمن والمنافق ما لها، فالمنافق عندما يعلم أن الله سيحبط عمله يصيبه الغم والهم والقلق حيث علموا أن الله (ﷻ) " أَخْرَجَهُمْ مِنْ حَظِيرَةِ الْإِسْلَامِ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ لَمْ يَعْبَأْ بِهِمْ وَلَا عَدَّ ذَلِكَ ثُلْمَةً فِي جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ." (٣)

---

(١) مقاييس اللغة ٢/ ١٢٩(ح ب ط)

(٢) نظم الدرر للبقاعي ١٥/ ٣٢١

(٣) التحرير والتنوير ٢١/ ٣٠٠

أما المؤمن فيشعر بالطمأنينة والاستقرار النفسي حيث علم أن الله سيجازيه أجر صبره وجهاده أما هؤلاء المنافقون فقد" أبطل الله جهادهم؛ لأن أعمالهم خبيثة وجهادهم لم يكن في إيمان." (١)

تعقيب على المبحث :

ومن خلال ما سبق يتبين أن الدلالات الصوتية والصرفية والتركيبية تتكامل للكشف عن المعاني النفسية في الآية الكريمة التي تتمثل في :

١-طبيعة المنافق فهو يتلوّن وفق المواقف والأحوال في سرعة ويسر، فتارة يكون معهم عند النصر؛ ليتقاسم معهم الغنائم، وتارة أخرى يكون عليهم عند انهزامهم، وهذا التلّون يجعل ألسنتهم تنطلق في حدة وشدة عند إتاحة الفرصة لهم للنيل من المسلمين.

٢-تناهي الشُّح في نفوس هؤلاء المنافقين الذي تملكهم وسيطر على عقولهم ونفوسهم حتى صار صفة متأصلة فيهم لا يجتمع معها الإيمان.

٣-حالة الجبن والفزع التي تسيطر على المنافق التي ظهرت واضحة جلية في حركته الجسدية اللاإرادية حين شعوره بتعرضه للخطر .

٤-إضمار العداوة للمسلمين ومحاولة النيل منهم عند إتاحة الفرصة لهم في حالة الأمن

٥-كمال انطلاق ألسنتهم عند الأمن في المسلمين فهي حادة طاعنة طعن السيوف عند ذهاب الخوف وشعورهم بالاطمئنان والسكينة.

٦- حب المنافق للظهور والاستعراض ولفت الانتباه حتى ينسب إليه الفخر والعزة.

٧- حالة الطمأنينة والسكينة التي تملكت نفوس المسلمين حين أخبر الله (ﷻ)؛ أن هؤلاء المنافقين وإن أظهروا الإيمان فليسوا بمؤمِنين، وأن الله أحبط أعمالهم.

---

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٤٨٢

المبحث الثاني

البسط بالألسنة في القرآن الكريم دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾ الممتحنة: ٢]

أولًا: بين يدي الآية الكريمة:

أ-مناسبة الآية لما قبلها:

لما أوصى الله (ﷻ) المؤمنين بترك موالاة الكفار واصفًا إياهم بأنهم أعداء له ولرسوله وللمؤمنين، ونهاهم عن إسرار المودة لهم، وأمرهم بالتبرؤ منهم، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة: ١]، لما كان الأمر كذلك قال الله(ﷻ) مبينًا لبقاء عداوتهم[1] : ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾[الممتحنة: ٢]

ب-المعنى العام للآية الكريمة :

يدور المعنى العام للآية الكريمة حول دوام عداوة المشركين للمؤمنين واستمرار إيذائهم لهم مهما أسروا لهم من المودة وما كان بينهم من صلة الأرحام، فإنهم إن ظفروا بهم كانوا لهم أعداءً وبسطوا أيديهم وألسنتهم لقتالهم وإيذائهم وسبّهم

(١) ينظر نظم الدرر للبقاعي ٤٩٣/١٩

وشتمهم، حتى أنهم تمنوا أن يكفروا بالله ورسوله بعد أن هداهم الله للإيمان وهاجروا مع رسوله(ﷺ).

ج-سبب النزول :

نزلت الآية الكريمة وما قبلها في " حاطبِ ابنِ أبي بَلْتَعة وذلك أنَّه لمَّا تجهزَ رسولُ الله(ﷺ)؛ لغزو الفتح كتب حاطب كتابًا وأرسله إلى أهلِ مكة أن رسول الله (ﷺ) يريدُكُم فخُذُوا حذْرَكُم وأرسلَه مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل(عليه السلام) بالخبرِ فبعثَ رسول الله(ﷺ) عليًا وعمارًا وطلحةَ والزبيرَ والمقدادَ وأبا مرثدٍ وقالَ انطلقُوا حتى تأتُوا روضةَ خاخٍ[1] فإنَّ بها ظعينةً[2] معها كتاب حاطبٍ إلى أهلِ مكةَ فخذُوه منهَا وخلُّوها فإنْ أبتْ فاضربُوا عنقَهَا فأدركُوهَا ثمةَ فجحدتْ فسلَّ عليٌّ سيفَهُ فأخرجْتَهُ من عقاصِهَا فاستحضر رسول الله(ﷺ) حاطبًا وقال ما حملكَ على هَذا فقالَ يا رسولَ الله ما كفرتُ منذ أسلمتُ ولا غششتكَ منذُ نصحتكَ ولكني كنتُ امْرأ ملصَقًا في قريشٍ وليسَ لي فيهم مَنْ يحمي أَهْلِي فأردتُ أن آخذَ عندهُم يدًا وقد علمتُ أن كتابي لن يغني عنهُم شيئًا فصدَّقَهُ رسولُ الله (ﷺ) وقبلَ عذرَهُ." [3]

---

(١) خاخٌ: " بعد الألف خاء معجمة أيضًا: موضع بين الحرمين، ويقال له روضة خاخ، بقرب حمراء الأسد من المدينة." معجم البلدان- لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)(٢/ ٣٣٥)- دار صادر، بيروت- ط: الثانية، ١٩٩٥ م

(٢) جاء في اللسان :"الظَّعِينة: المرأَة فِي الْهَوْدَجِ، سُمِّيَتْ بِهِ عَلَى حَدِّ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمِ الشَّيْءِ لِقُرْبِهِ مِنْهُ." لسان العرب ٢٧١/١٣

(٣) إرشاد العقل السليم -لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت:٩٨٢هـ)-٨/ ٢٣٥(بتصرف يسير)- دار إحياء التراث العربي – بيروت-(د-ط-ت)- ينظر أسباب النزول للواحدي صـ ٤٢٢

د-مناسبة الآية الكريمة للمقصد العام للسورة :

لما كان من مقاصد السّورة الكريمة :" براءة من أقر بالإيمان من الكفار، دلالة على صحة مدعاه . كما أن الكفار تبرأوا من المؤمنين وكذبوا بما جاءهم من الحق، لئلا يكونوا على باطلهم أحرص من المؤمنين على حقهم." (١)

فلما كان مقصد السورة براءة من أقر بالإيمان من الكفر، وهو حاطب ابن أبي بَلْتَعة بسبب إلقائه المودة لهؤلاء الكفار ناسب هذا المقصد الآية الكريمة التي بينت حقيقة هؤلاء المشركين عند تمكنهم من المسلمين والغلبة عليهم بأنهم لن يتركوا مجالًا ؛ لإلحاق الأذى بالمسلمين سواء كان إيذاء باليد أو اللسان ولن ينفع معهم المودة و التودد لهم .

(١) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ ٣/ ٧٥

المطلب الأول

الدلالة الصوتية في ضوء علم اللغة النفسي

أولا : دلالة الوحدات الصوتية (الفونيمات):

أ-دلالة فونيمات الباء والسين والطاء في (يَبسطُوا) في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ ﴾[الممتحنة:٢]

يدور المعنى اللغوي للبَسط حول الإكثار من فعل الشيء وامتداده. (١)

وقال أبو حيان إن المراد بقوله تعالى:﴿ وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ ﴾ أي:" يَبْسُطُوا أَيْدِيَهُمْ بِالْقَتْلِ وَالتَّعْذِيبِ، وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسَّبِّ." (٢)

وبالنظر إلى أصوات مادة (ب س ط) فهي تبدأ بصوت الباء وهو صوت قوي؛ لما فيه من الجهر والشدة (الانفجارية) ؛ ليعبر عن كمية الغيظ المحتبسة في نفوس هؤلاء المشركين التي لم يستطيعوا التنفيس عنها بسبب عدم تمكنهم من المسلمين حيث أمرهم الله تعالى بالهجرة، إلا أنهم في حالة ظفرهم بالمسلمين والتمكن منهم سوف ينطلق هذا الغيظ بقوة وشدة ومجاهرة بالعداء وبسط اليد واللسان بالسوء حيث نصت الآية الكريمة على "أَنَّ الْعَدَاوَةَ وَبَسْطَ الْيَدِ وَاللِّسَانِ بِالسُّوءِ يَكُونُ بَعْدَ أَنْ يَثْقَفُوهُم مَعَ أَنَّ الْعَدَاءَ سَابِقٌ بِإِخْرَاجِهِمْ إِيَّاهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ...إلا أنهم لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِمْ الْآنَ بِسَبَبِ الْهِجْرَةِ." (٣) فجاءت الباء بما تعبر به عن " تجمعٍ تراكميٍّ رخوٍ مع

---

(١) سبق الإشارة إلى المعنى اللغوي في التمهيد في هذا البحث

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان ١٠/١٥٣

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن-لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ)-٨/٨٢- دار الفكر- لبنان-(د-ط)-١٤١٥هـ-١٩٩٥ م.

تلاصقٍ ما"[١] ؛لتمثل شدة الغيظ والبغض المحتبسة في نفوسهم للمسلمين ؛ لتخرج بكامل قوتها عند تمكنهم من المسلمين والظفر بهم حيث يقال:" ثَقِفْتُ الشيءَ حَذَقْتُه، وثَقِفْتُه إِذَا ظَفِرْتَ بِهِ." [٢]

ثم يأتي صوت السين بما يعبر عن " امتدادٍ دقيق حادٍّ أو قوي نافذ في جرم."[٣]؛ ليمثل مرحلة امتداد اليد بالضرب والبطش بالعدو حيث قال ابن عاشور:" بَسْطُ الْيَدِ مَجَازٌ فِي الْبَطْشِ "[٤] مع الذي يتبعه من بسط اللسان بالإيذاء بالسب والشتم وفحش الكلام؛ وهذا يدل على أن اليد إذا تمكنت ممن تريده مع هذا الغيظ الشديد بطشت به بطشًا قويًا شديدًا حيث قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ ﴾ [آل عمران :١١٨] فإنهم في:" كلامهم لا يتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم. وَما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ مما بدا ؛لأن بدوه ليس عن روية واختيار"[٥]، فكأن هذه العداوة تمكنت من نفوسهم وتحكمت بها حتى صاروا يتطوقون شوقًا لإخراجها ولكنهم لا يستطيعون ذلك إلا عند تمكنهم من المسلمين فيظهرون حينها " الْبَغْضَاءُ قَوْلًا وَفِعْلًا." [٦]

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن –د/حسن جبل ١/ ٢٦

(٢) لسان العرب٩/ ١٩(ث ق ف)- " الحِذْقُ والحَذاقةُ: المَهارة فِي كُلِّ عَمَلٍ" لسان العرب ١٠/ ٤٠(ح ذ ق)

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن –د/حسن جبل ١/ ٣٠

(٤) التحرير والتنوير ٦/ ١٣٨

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل=تفسير البيضاوي–لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت:٦٨٥هـ)–تح:محمد عبد الرحمن المرعشلي ٢/ ٣٥– دار إحياء التراث العربي – بيروت–ط:الأولى–١٤١٨هـ

(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٨/ ٨٣

ثم يأتي صوت الطاء بقوته بما فيه من جهر وشدة وإطباق واستعلاء ؛ ليمثل حدة المخالطة والشدة في البطش باليد واللسان في حالة التمكن والغلبة من المسلمين.

فكأن الفونيمات الصوتية الباء والسين والطاء اجتمعت معًا ؛ لتجسد الحالة النفسية التي يكون عليها المشركون من العداء والبغضاء للمسلمين وإظهار مدى شدة إيذائهم لهم في حالة الغلبة والظفر بهم ؛ كما أنها يمكن أن تشير إلى ما سوف يلاقيه المسلمون من الأثر النفسي من حالة الحزن والضيق والهم التي سوف تصيبهم في حالة غلبة المشركين عليهم، حيث إن في استعمال لفظ (البسط) في الآية الكريمة " إشعار بكثرة ما ينزلونه بالمؤمنين من أذى، إذ التعبير بالبسط يدل على الكثرة والسعة." [١] وهذا يتناسب مع سياق الآية الذي يدور حول التحذير والنهي عن موالاة الكافرين وبيان ما سوف يلحقونه من أذى وسوء بالمسلمين.

ب-دلالة فونيمات السين والواو والهمزة في قوله تعالى:﴿ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[الممتحنة:٢]:

قال الخليل :"السُّوءُ: نعت لكلّ شيء رديء. ساء يَسُوءُ." [٢]

وقال أبو هلال العسكري:" السُّوءُ بِالضَّمِّ الْمَكْرُوه، وَيُقَال سَاءَهُ يسوؤه إِذا لَقِي مِنْهُ مَكْرُوها ... وهو اسْم الضَّرَر وَالْغَم." [٣]

وزاد الراغب: أن السوء " كلّ ما يغمّ الإنسان من الأمور الدّنيويّة، والأخرويّة، ومن الأحوال النّفسيّة، والبدنيّة، والخارجة، من فوات مال، وجاه، وفقد حميم." [٤]

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم-لمحمد سيد طنطاوي ١٤/ ٣٢٥- دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة-ط:الأولى-١٩٩٨م

(٢) العين ٧/ ٣٢٧(س و ء)

(٣) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري١٩٩/١

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب ١/ ٤٤١(س و ء)

ومما سبق تبين أن السُّوء يراد به كل ما يصيب الإنسان من مكروه سواء كان حسيًا أو معنويًا .

وبالنظر إلى لفظ (السوء) في الآية الكريمة الذي يتكون من فونيمات ثلاثة (السين والواو والهمزة) فتبدأ أصوات المادة بفونيم السين المهموس ؛ لتعبر السين بهمسها عن خفاء القول قبل إظهاره، وتنتهي بفونيمين مجهورين وهما الواو الهمزة؛ ليدلان بجهرهما على إظهار القول السيء بعد خفائه حيث " لا يتأتّى بسط الألسن على الحقيقة كما يتأتّى بسط الأيدي وإنّما المراد إظهار الكلام السيّئ فيهم بعد زمّ الألسن عنهم، فيكون الكلام كالشيء الذي بسط بعد انطوائه، وأظهر بعد إخفائه." (١)

فبدء المادة بصوت السين بما فيه من همس يشير إلى ما كانوا يخفون في نفوسهم من السوء الذي لم يقتصر فقط على إظهار العداوة بل إنهم؛ لشدة غيظهم بسطوا ألسنتهم بالشتم " مضمومة إلى فعل أيديهم فعل من ضاق صدره بما تجرَّع من آخركما من الغصص حتى أوجب له غاية السَّعَة بالسُّوء أي بكلِّ ما من شأنه أن يسوء." (٢)

ليأتي الصائت الطويل وهو الواو بما فيه من دلالة على العذاب الذي قد يكون حسيًا مسببًا عن بسط اليد، أو معنويًا مسببًا عن بسط اللسان بكلام يؤذي من يُقال فيه، حيث إن:" بسْط الْأَيْدِي حَقِيقَة فِي مَدِّهَا لِلضَّرْبِ وَالسَّلْبِ، وَبَسْط الْأَلْسِنَةِ مَجَاز فِي عَدَمِ إِمْسَاكِهَا عَنِ الْقَوْلِ الْبَذِيءِ، وَقَدِ اسْتُعْمِلَ هُنَا فِي كِلَا مَعْنَيَيْهِ." (٣)

---

(١) الموسوعة القرآنية، خصائص السور – لجعفر شرف الدين– تح : عبد العزيز بن عثمان التويجزي ٩/ ٢٣١– دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت– ط: الأولى – ١٤٢٠ هـ

(٢) نظم الدرر للبقاعي ١٩/ ٤٩٤(بتصرف يسير)– "جَرِعَ الغيظَ: كظَمَه عَلَى الْمَثَلِ بِذَلِكَ. وجَرَّعه غُصَصَ الغيْظِ فتجَرَّعه أَي كظَمَه." لسان العرب ٨/ ٤٦(ج ر ع)

(٣) التحرير والتنوير ١/ ١٠٠

وعليه كان لوجود الصائت الطويل مغزًا دلاليًا يدل على شدة العذاب الذي لا نهاية له سواء أكان حسيًا ببسط اليد أم معنويًا ببسط اللسان.

لتنتهي اللفظة بفونيم الهمزة بما فيه من الشدة، بل تُعد الهمزة هي أشد الأصوات؛ لأنها تحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه صوت آخر.[1]، فشدة الهمزة –هنا– تتناسب مع أمرين أولهما: شدة الإيذاء الذي يلحق بالمسلمين من هؤلاء الكفار إذا تمكنوا منهم وظفروا بهم في وقت من الأوقات أو مكان من الأمكنة بسبب نفوسهم البغيضة التي لا تضمر إلا الشر والعداوة للمسلمين، ثانيهما : شدة الأثر النفسي الذي له ما له في نفوس المسلمين لما يلحق بهم من " القتل والسلب والسبي عند بسط الأيدي، السب والشتم والتحقير والإهانة ونسبة الكذب والخيانة عند بسط الألسن."[2]

وبالتأمل في أصوات الآية الكريمة بوجه عام، تبين لي:

أولًا: شيوع الأصوات المجهورة حيث تبلغ اثني وأربعين صوتًا من جملة ستة وستين صوتًا مقابل ستة عشر صوتًا مهموسًا ؛ لتتناسب هذه الأصوات المجهورة مع إظهار حقيقة هؤلاء المشركين الذين يظهرون المودة للمؤمنين ؛ ليعرفوا أخبار رسول الله (ﷺ) ويمكرون به وبالمؤمنين.

ثانيًا: تقارب عدد الأصوات المهموسة والمتوسطة في الآية الكريمة حيث يبلغ عدد الأصوات المهموسة سبعة عشر صوتًا، والأصوات المتوسطة ستة عشر صوتًا ؛ لتتناسب الأصوات المهموسة مع ما يضمر هؤلاء الكافرون من عداوة وغيظ كامنًا

---

(١) ينظر الأصوات اللغوية – د/ إبراهيم أنيس (صـ ٧٧)–

(٢) ينظر بيان المعاني–لعبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت:١٣٩٨هـ)(٥/ ٥٠١) – مطبعة الترقي – دمشق–ط: الأولى، ١٣٨٢هـ–١٩٦٥ م

وخَافيًا في نفوسهم لن يظهر وسيظل خافيًا في نفوسهم؛ لأن الله(ﷻ) لن يمكنهم من نبيه الكريم(ﷺ) والمؤمنين أبدا، ولعل أبرز ما يدل على ذلك قوله تعالى :﴿ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١ ﴾ [النساء: ١٤١]

كما تتناسب الأصوات المتوسطة مع وقوع هؤلاء المشركين في حالة من العداوة والحِنق وشدة الغيظ الكامن في نفوسهم، فلا هم قادرون على التنفيس عن هذا الغضب والعداوة ؛ لإذهاب غيظ قلوبهم ؛ لعدم تمكنهم من المسلمين، ولا هم قادرون على التخلص منه فتهدأ نفوسهم، بل سيظل مستقرًا في نفوسهم، يأكلهم كما تأكل النار الهشيم.

ثالثًا : قلة عدد الأصوات الشديدة حيث تبلغ أربعًا وعشرين صوتًا من جملة ستة وستين صوتًا؛ لتتناسب قلة هذه الأصوات الشديد مع شدة هؤلاء الكافرين التي لن تتحقق ؛ لأن الله لن يمكنهم من المؤمنين.

-وبالنظر إلى الصوائت الطويلة في الآية الكريمة تبين لي:

غلبة الصائت الطويل الواو على كل من الصائت الطويل الألف والياء حيث ورد الصائت الطويل الواو سبع مرات في الآية الكريمة بخلاف الألف التي وردت مرة واحدة، أما الصائت الطويل الياء فقد خلت الآية منه، ويبدو لي أن الصائت الطويل الواو في الآية الكريمة يمثل إحاطة المشركين بالمؤمنين في حالة التمكن والغلبة عليهم وما قد يلحقون بهم من عذاب لا ينتهي باليد واللسان مما يثير في نفوس المسلمين الحرص على الامتثال لأمر الله(ﷻ) في عدم موالاة هؤلاء المشركين وإسرار المودة لهم.

ثانياً: دلالة المقاطع :

تنوعت المقاطع في الآية الكريمة ما بين قصير مفتوح، ومتوسط مغلق ومفتوح، وهذا يدل على انتقال الكافرين من حالة كتمان الغيظ لعدم ظفرهم بالمؤمنين؛ لما كان

لهم من أمر الهجرة، إلى حالة انطلاق هذا الغيظ والتنفيس عنه بقوة في حالة إدراك المؤمنين والظفر بهم، حيث بلغ جملة المقاطع في الآية الكريمة أربعين مقطعًا، والجدول التالي يوضح أيَّ هذه المقاطع أكثر ورودًا في الآية الكريمة:

الآية	نوع المقطع	عدد مرات تكراره
قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (الممتحنة:٢)	القصير المفتوح	١٥مرة
	المتوسط المغلق	١٧مرة
	المتوسط المفتوح	٧مرات
	الطويل المغلق	مرة واحدة

بالنظر إلى المقاطع الصوتية في الآية الكريمة تبين لي:

• **شيوع وغلبة المقاطع المتوسطة المغلقة في الآية الكريمة ؛ لتتناسب مع:**

-شدة الرغبة عند الكافر في إدراك المسلمين والظفر بهم، وخاصة في حالة الثقافة ؛ لما فيه من دلالة على التمكن والغلبة مع قوة الأخذ والقهر، حيث ورد في جملة ﴿ إِن يَثْقَفُوكُم ﴾ (الممتحنة:٢) ثلاثة مقاطع صوتية متوسطة مغلقة (أيـ / يثـ، كم) فقد بدأت بمقطع مغلق وانتهت بمقطع مغلق وتوسطها مقطع مغلق كأن هذه الرغبة تملكتهم وصارة ظاهرة وباطنة عليهم.

-شدة العداوة والبغضاء الكامنة في نفوس هؤلاء الكافرين التي تظهر وتتجلى في بسط اليد واللسان بالسوء على المسلمين حيث ورد في قوله تعالى:﴿ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ ﴾(الممتحنة:٢)أحد عشر مقطعًا صوتيًا متوسطًا مغلقًا(كم/ أع/ءو/ يب/ليـ/كم/أيـ/هم/ أل/ هم/ بسـ) .

- تناهي رغبة الكافرين في ارتداد المسلمين عن دينهم التي تُعد من أعظم المصائب التي قد تنزل بهم؛ لما سوف يلحق بهم من العذاب في الدنيا والآخرة حيث ورد في

قوله تعالى:﴿وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝٢﴾ ثلاثة مقاطع صوتية متوسطة مغلقة (ود/ لو/ تك).

- **انتهاء الفاصلة القرآنية بالمقطع المغلق الطويل (دون/ ص ح ح ص) في (تَكفُرُونَ) في حالة الوقف ؛ لبيان:**

– كامل العداوة للمسلمين الناشئة عن حالة الصد والإعراض التي لا حدود لها عن الإيمان؛ لشدة انغلاق قلوبهم عنه وكراهته لغيرهم من المسلمين.

–شدة الرغبة والتمني في ارتداد المؤمنين عن دينهم حتى صارت هذه الرغبة هي الأُولى والأَوْلى عندهم ؛ لأن ذلك هو أشد الإيذاء وأقواه الذي قد يصيب المسلم .

- **شيوع وغلبة المقاطع القصيرة المفتوحة (ص ح)؛ لتتناسب مع:**

سرعة إيذاء المشركين للمؤمنين في حالة التمكن والغلبة عليهم، وسرعة إظهار العداوة لهم بكل أشكالها وألوانها بالقول والفعل ببسط اليد واللسان بالسوء وتمني الكفر لهم بارتدادهم عن الإسلام.

ـ ثم تأتي المقاطع المتوسطة المفتوحة(ص ح ح) ؛ لتتناسب مع :

–انفتاح قلوب هؤلاء المنافقين لفكرة النيل من المسلمين والتمكن منهم بشتى الطرق حيث جاء في الفعل(يثقفوكم) المقطع المتوسط المفتوح (فو)؛ للدلالة أن هذه الرغبة لا حدود لها وأنها دائمة مستمرة .

– حالة العداء والإيذاء الذي لا حدود له ولا نهاية في حالة تمكنهم من المسلمين على حالة الثقافة حيث جاء في جملة﴿يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ خمسة مقاطع صوتية متوسطة مفتوحة (كو/ نو/ دا/طو/سو).

– استمرار تمنّيهم ارتداد المسلمين عن الإيمان ؛ لأن هذا يُعد قمة الإيذاء وأشده الذي قد يصيبهم، فلا يوجد مصيبة أعظم من الكفر بعد الإيمان، حيث انتهى الفعل (ودوا) بالمقطع المتوسط المفتوح (دو) .

ثالثًا- دلالة صوت الفاصلة القرآنية في قوله تعالى:﴿ تَكفُرُونَ﴾[الممتحنة:٢]

ختمت الفاصلة القرآنية بصوت النون مسبوقًا بالصائت الطويل الواو، ويُعد صوت النون من أوضح الأصوات الصامتة في السمع[١] أي أن الوضوح والظهور سمته وقرينته؛ ليتناسب بوضوحه مع ظهور عداوة الكافرين للمسلمين التي تتمثل في حالة الرغبة الشديدة التي تمتلك نفوس هؤلاء الكافرين في ارتداد المسلمين عن دينهم، ويمثل الصائت الطويل الواو سيطرة هذه الرغبة عليهم واستمرارهم في تمني حصول هذا الكفر ووقوعه، فهم يريدون إلحاق العذاب بالمؤمنين في الدنيا والآخرة وهذا قمة العداوة والبغض.

وبالتأمل في فواصل السورة الكريمة تبين لي أن هذه الفاصلة جاءت مشاكلة لفواصل السورة الكريمة، كأن كل فاصلة تعاضد أختها فيما تدل عليه، وتخدم جميع الفواصل الموضوع العام الذي تدور حوله السورة الكريمة حيث " ختمت السورة بمثل ما بدئت به من النهي عن موالاة المشركين المغضوب عليهم، واتخاذهم أولياء، فإن الله قد غضب عليهم حتى تمكن فيهم اليأس، وانقطع الرجاء." [٢]

ثالثًا: بعض الألفاظ التي آثرها القرآن الكريم دون غيرها :

*** يَثقَفُوكُم :**

آثر القرآن الكريم لفظ (يَثقَفُوكُم) في قوله تعالى:﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ [الممتحنة:٢] خاصة دون غيره مثل يجدوكم ؛ لما في الثقف من دلالة على إدراك الشيء والتمكن منه مع الغلبة والقهر حيث قيل :" الثَّقْف: الحذق في إدراك الشيء

---

(١) الأصوات العربية وصف وتحليل – د/ عبد التواب مرسي حسن الأكرت(ص١٦٢)

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم–لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٠/ ١٣٧٤– الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية–ط: الأولى، (١٣٩٣هـ=١٩٧٣ م)–(١٤١٤هـ=١٩٩٣ م)

وفعله." [١]، وقيل :هو" وجودٌ على وَجْهِ الأَخْذِ والغَلَبة"[٢] ، وهذا يتناسب مع معنى الفعل (يثقفوكم) في الآية الكريمة، حيث جاء بمعنى: أن " يظفروا بكم ويتمكنوا منكم"؛ أي أنه إيجاد مع تمكن وغلبة والظفر بالعدو، فالثقف:" تمكّنٌ يُبْلَغُ به أتقنُ أحوال الشيء وأحكمها." [٣] مما يجعله أوقع وأشد في التحذير والنهي عن إسرار المودة للكافرين ؛ لأن هؤلاء الذين تسرون إليهم بالمودة إن تمكنوا منكم وظفروا بكم في أي وقت أو أي مكان فسوف يكونون حاذقين في قتالكم، فاطنين به، خفيفين فيه، ظافرين بكم [٤] ولن تنفعكم هذه المودة .

بخلاف لفظ يجدوكم، فالإيجاد فيه دلالة على الإيجاد دون الظفر والغلبة؛ لأنهم قد يجدوكم ولكن لن يظفروا بكم .

وبالنظر إلى أصوات مادة (ث ق ف) التي تبدأ بالثاء المهموسة ؛ لتعبر عن نفاذ المشركين إلى المؤمنين في خفية وتخفًا حتى يتمكنوا من الإحاطة بهم ؛ لتأتي القاف وهي حرف متمكن قوي ؛ لتتناسب بتمكنها وقوتها مع إحكام قبضتهم عليهم وإذاقتهم أشد أنواع العذاب الحسي والمعنوي جاهرين بعداوتهم في قوة وشدة ناسين ما كان بينهم وبين هؤلاء المسلمين من صلات الأرحام ومودة، ثم تأتي الفاء بما فيها من صفات الضعف من همس ورخاوة واستفال ؛ لتحاكي حالة الضعف التي قد

---

(١) المفردات في غريب القرآن ١/ ١٧٣(ث ق ف)

(٢)الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للهمذاني (ت: ٦٤٣ هـ)- تح: محمد نظام الدين الفتيح (١/ ٤٦٣)- دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة -ط: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن -د/حسن جبل ١/ ٢٤٥

(٤) استئناسًا بما قاله البقاعي في قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُم حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُم ﴾ حيث قال "أشار إلى الوعد بتيسير التمكين منهم فقال: {حيث ثقفتموهم} فإن معناه: صادفتموهم وأدركتموهم وأنتم ظافرون بهم، حاذقون في قتالهم، فطنون به، خفيفون فيه" نظم الدرر للبقاعي ٥/٣٦٠

تصيب المسلمين في حالة وقوعهم بين أيدي الكافرين إذا تمكنوا منهم وتغلبوا عليهم حالة الثقافة.

***وَدُّواْ:**

آثر التعبير القرآني لفظ (وَدُّواْ) في قوله تعالى: ﴿وَوَدُّواْ لَو تَكفُرُونَ ﴾[الممتحنة:٢] بما فيه من دلالة على التمني دون غيره؛ إذ إن الودادة فيها دلالة على المحبة الشديدة لحصول ما تتمناه، حيث قال ابن فارس: "الْوَاوُ وَالدَّالُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى مَحَبَّةٍ. وَدِدْتُهُ: أَحْبَبْتُهُ. وَوَدِدْتُ أَنَّ ذَاكَ كَانَ، إِذَا تَمَنَّيْتَهُ، أَوَدُّ فِيهِمَا جَمِيعًا. وَفِي الْمَحَبَّةِ الْوُدُّ، وَفِي التَّمَنِّي الْوَدَادَةُ." (١)

ولما كانت الودادة –هنا– تتمثل في رِدة المؤمنين إلى الكفر وهو أمر مستحيل فـ"عبر بما يفهم التمني الذي يكون في المحالات؛ ليكون المعنى أنهم أحبوا ذلك غاية الحب وتمنوه؛ لأن دأب العدو القصد إلى أعظم ضرر يراه لعدوه "(٢) فلا يوجد مصيبة أعظم من مصيبة الكفر بعد الإيمان فأعز الأشياء عند كل أحد دينه.

فمجيء الفعل (ودّ) بدلالته على التمني جعله يصلح للمضي والحال والاستقبال(٣) مما يدل على أن الارتداد عن الدين كان أشد أمانيهم وأهمها سواء ظفروا بهم أو لا.

وبالنظر إلى أصوات الفعل (ودوا) الذي يتألف من الواو بما لها من دلالة على الشمول والإحاطة، والدال بما فيها من التضعيف الذي يكسبها شدة فوق شدتها، إلى

---

(١) مقاييس اللغة ٦/ ٧٥(و د د)

(٢) نظم الدرر للبقاعي ١٩/ ٤٩٤

(٣) ذكر الزركشي قول أَبُي مُسْلِمٍ الأصبهاني: إن" وَدَّ إذا جاءت بمعنى (تمنى) يستعمل معها (لو)(وإن) وَرُبَّمَا جُمِعَ بَيْنَهُمَا... وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى، إذا كان بمعنى تمنى صلح للمضي وَالْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ." البرهان في علوم القرآن٤/ ١٦٧

جانب أنها تأتي لما طال من الأثر، فإن الفعل (ودوا) يتناسب بأصواته مع العداوة الكامنة في نفوس هؤلاء الكافرين والغيظ المحتبس داخل صدورهم، والحسد الذي سيطر على قلوبهم وعقلوهم حتى صار أشد أمانيهم ارتداد المسلمين عن دينهم، فهي رغبة قديمة مستمرة في نفوسهم منذ أن آمن المؤمنون ولم تنقطع ولعل أبرز ما يدل على ذلك قول الله تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾[البقرة:١٠٩]

المطلب الثاني

الدلالة الصرفية في ضوء علم اللغة النفسي

***دلالة صيغة الفعل الماضي(ودوا) في قوله تعالى:﴿ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝٢﴾ (الممتحنة:٢) :**

جاء التعبير بصيغة الماضي (ودوا) في قوله تعالى:﴿ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝٢﴾ (الممتحنة:٢)؛ على الرغم من عطفه على فعل المستقبل(يبسطوا)؛ للدلالة على تحقق هذه الودادة ووقوعها في نفوس هؤلاء المشركين منذ أن آمن المسلمون ودخلوا الإسلام، وأنها لم تنقطع بالهجرة وابتعاد المسلمين عنهم، فـ" وِدَادَتَهُمْ كُفْرَهُمْ لَيْسَتْ مُتَرَتِّبَةً عَلَى الظَّفَرِ بِهِمْ وَالتَّسَلُّطِ عَلَيْهِمْ، بَلْ هُمْ وَادُّونَ كُفْرَهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ، سَوَاءٌ أَظْفَرُوا بِهِمْ أَمْ لَمْ يَظْفَرُوا." (١)، وذلك فيه " إشارة إلى أن هذه الرغبة، هى رغبة قديمة، من يوم أن آمن هؤلاء المؤمنون لم تنقطع بالهجرة، ولا بالمودّة التي تجري بينهم وبين هؤلاء المؤمنين، بل هى قائمة فى صدور المشركين، لن تموت أبدا إلا بعودة المؤمنين كفارا." (٢)

فالتعبير بصيغة الماضي-هنا- يجسد مدى العداوة الظاهرة والكامنة في نفوس هؤلاء المشركين حيث إن دأب العدوّ القصد إلى أعظم ضرر يراه لعدوّه، ولا ضرر أعظم من الارتداد عن الدين فقد كانوا حرصين على ألا ينال المؤمنون خيرًا في الدنيا والآخرة بما يقعوا فيه من الكفر بعد الإيمان؛ ولذا كان شدة التحذير في الآية ؛لأن هؤلاء إذا كانت"عَدَاوَتُهُمْ لَكُمْ كَامِنَةٌ وَظَاهِرَةٌ فَكَيْفَ تُوَالُونَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ؟ "(٣)

---

(١) تفسير البحر المحيط ١٠/ ١٥٤

(٢) التفسير القرآني للقرآن١٤/ ٨٩٤

(٣) تفسير ابن كثير ٨/ ١١٥

-دلالة التعبير بصيغة المضارع (يكونوا) في قوله تعالى :﴿ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ ﴾ [الممتحنة:٢]:

آثر التعبير القرآني أن يأتي بفعل الكون مضارعًا في قوله تعالى:﴿ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ [الممتحنة:٢]؛ لما:" فِي فِعْلِ الْكَوْنِ من دَلَالَة عَلَى الِاسْتِمْرَارِ، زِيَادَةً عَلَى مَا أَفَادَتْهُ صِيغَةُ الْمُضَارِعِ." [١] مما يؤكد أن عداوتهم للمؤمنين عداوة قديمة مستمرة متمكنة من قلوبهم بقصد الإضرار والانتقام من المؤمنين، ويؤيد ذلك قول الشريف الجرجاني إن:" العداوة: هي ما يتمكن في القلب من قصد الإضرار والانتقام." [٢] ، وقال ابن عاشور إن: "فِعْل (يَكُونُوا)-هنا- مُشْعِر بِأَنَّ عَدَاوَتَهُمْ قَدِيمَةٌ وَأَنَّهَا تَسْتَمِرُّ."[٣] فالتعبير عن قدم هذه العداوة واستمرارها بفعل الكون المضارع في الآية الكريمة يتناسب مع ما أضمر هؤلاء المشركون من العداوة للمؤمنين، وما حوت صدورهم من شدة الحنق على ما لقوا من المسلمين من إبطال دين الشرك وتحقير أهله وأصنامهم، مما يتناسب مع النهي عن إسرار المودة لهؤلاء المشركين؛ لأنهم" أَضْمَرَوا الْعَدَاوَةَ زَمَنًا يَعْسُرُ أَنْ يَنْقَلِبَ وَدُودًا"[٤]

-دلالة التعبير بصيغة المضارع(يبسطوا) في قوله تعالى: ﴿ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ ﴾[الممتحنة:٢]

عبر بصيغة المضارع في قوله تعالى :﴿وَيَبسُطُوٓاْ ﴾؛ للدلالة على استمرارهم في إيذاء المؤمنين بالقول والفعل وتجدده في حالة التمكن والغلبة عليهم وذلك "مِنْ بَابِ

---

(١) التحرير والتنوير ١٩/ ٩٤

(٢) التعريفات-لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)- تح: جماعة من العلماء ١٤٨/١- دار الكتب العلمية بيروت -لبنان- ط: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

(٣) التحرير والتنوير ٢٨/ ١٣٩

(٤)التحرير والتنوير ٢٨/ ١٣٩

شِدَّةِ التَّحْذِيرِ حيث الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ الشَّرْطِ (إن يثقفوكم) هُوَ بَسْطُ الْأَيْدِي بِالسُّوءِ "[1] وذلك فيه ردع شديد للمؤمنين ؛ لإسرارهم المودة لهؤلاء المشركين.

***دلالة جمع القلة في قوله تعالى:﴿ألسِنَتَهُم﴾ [الممتحنة:٢]:**

جاء لفظ (ألسنة) في الآية الكريمة مجموعًا جمع قلة على وزن (أَفعِلة) ؛ للدلالة على أنه بالرغم من قلة عددهم إلا أن ألسنتهم التي لا تنطق إلا بذيء الكلام وفحشه لها من الأثر النفسي ما يفوق القتل والضرب والإيذاء الحسي فكأنها تعادل بسط اليد بالسوء وإن كانت أشد حيث إن الإيذاء النفسي أعمق وأشد من الإيذاء الحسي .

***دلالة التعبير بجمع القلة (أعداء) على وزن أفْعَال في قوله تعالى: ﴿ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ ﴾[الممتحنة:٢]:**

جاء لفظ أعداء في الآية الكريمة جمع قلة على وزن أَفْعَال ؛ للدلالة على التقليل والتحقير من شأن هؤلاء الأعداء فإنهم مهما بلغت شدة عداوتهم وبغضهم للمسلمين فعددهم مهما كثر وزاد وتضاعف باجتماع بعضهم إلى بعض إلا أن الله (ﷻ) سيهون أمرهم على المسلمين وينصرهم عليهم وسيفضح أمرهم مهما حاولوا التخفي وراء أقنعة كاذبة خادعة .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨/ ٨٣

المطلب الثالث

الدلالة التركيبية في ضوء علم اللغة النفسي

***دلالة (إنْ) الشرطية في جملة الشرط:﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً ﴾[الممتحنة:٢]**

أثر التعبير القرآني استعمال أداة الشرط (إن) في الآية الكريمة ؛ للدلالة على انتفاء وقوع الشرط وحصوله، حيث إن" الأصل في (إن) الشرطية ألا يكون الشرط منها مقطوعًا بوقوعه"(١) مما يدل على انتفاء تمكن المشركين من المؤمنين حاضرًا أو مستقبلًا؛ فهو أمر مقطوع بعدم وقوعه حيث قال البقاعي: أشار بأداة الشك(إن)؛ للدلالة على أن وجدانهم وهم على صفة الثقافة مما لا تحقق له، وإنما هو على سبيل الفرض والتقدير، وأنه إنما علم سبحانه أنه لو كان كيف كان يكون، مع أنه مما لا يكون(٢). كما يؤيد ذلك أيضًا مجيء فعل الشرط (يثقفوكم) مضارعًا؛ لما في صيغة المضارع من دلالة على التجدد والاستمرار فهم لن يتمكنوا منكم ولن يظفروا بكم على هذه الصفة أبدًا.

ومن ذلك يدل هذا التركيب على دلالة نفسية تتمثل في التسرية عن قلوب المؤمنين بأن الله (ﷻ) لن يمكن منهم هؤلاء المشركين أبدا مما يشعرهم بحالة من الاستقرار النفسي فهم على دين الحق وعلى الصراط القويم.

***تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى :﴿ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً ﴾ [الممتحنة:٢]، وقوله تعالى :﴿ وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم ﴾ [الممتحنة:٢]**

تقدم الجار والمجرور(لكم) و(إليكم) في الآية الكريمة ؛ للدلالة على اختصاص "

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ٢/ ١١٧

(٢) نظم الدرر للبقاعي ١٩/ ٤٩٣

الخطاب–هنا– بالمؤمنين الذين بينهم وبين المشركين مودة." [1] مما يتناسب مع سياق الآية في النهي عن مودة هؤلاء الكافرين، حيث تخبر الآية الكريمة المسلمين أن هؤلاء الكافرين" لا يقدرون مودتكم لهم بل يعدونها نفاقا منكم لهم وخوفا منهم ؛ لأنهم يتربصون بكم الدوائر وعند سنوح الفرصة ينتقمون منكم. [2]" ويؤيد ذلك أن الله (ﷻ) قد" اسْتَثْنَى أَقْوَامًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ غَيْرَ مُضْمِرِينَ الْعَدَاوَةَ لِلْمُسْلِمِينَ وَكَانَ دِينُهُمْ شَدِيدَ الْمُنَافَرَةِ مَعَ دِينِ الْإِسْلَامِ." [3] حيث قال تعالى :﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[الممتحنة :٨]

***دلالة التعريف بالإضافة في﴿ ألسنَتَهُم ﴾ [الممتحنة:٢]:**

جاء لفظ الألسنة معرفًا بإضافته إلى الضمير(هم)؛ للدلالة على أن هؤلاء الكافرين الذين يضمرون العداوة والبغض للمسلمين معرفون معلمون للمؤمنين مختصون بهذا الخطاب على وجه الخصوص وهم المشركون الذين يظهرون المودة للمسلمين، وعداوتهم كامنة في صدورهم، ويؤيد ذلك توجيه الخطاب إلى المؤمنين الذين يلقون بالمودة للكافرين طامعين في أن يأمنوا على أولادهم وأموالهم منهم، ويؤيد ذلك سبب نزول الآية في إن حاطب بن أبي بلتعة أرسل لكفار مكة كتابًا يخبرهم بقدوم الرسول إليهم رغبة في أن يحفظ أولاده وأمواله من أذى المشركين فأنزل الله (ﷻ):﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الممتحنة:٣]

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ١٤/ ٨٩٤

(٢) بيان المعاني٥/ ٥٠١

(٣) التحرير والتنوير٢٨/ ١٥١

***دلالة تعلق الجار والمجرور(بالسوء) بـ(بسط اليد واللسان معاً) في قوله تعالى: ﴿وَيَبسُطُواْ إِلَيكُم أيدِيَهُم وَأَلسِنَتَهُم بِالسُّوءِ ﴾[الممتحنة:٢]**

تعلق الجار والمجرور(بالسوء) في الآية الكريمة بفعل(البسط) الذي اختصت به الأيدي والألسنة في الآية الكريمة؛ للدلالة على أن العذاب –هنا– عذاب لا نهاية له في حالة التمكن والغلبة من المؤمنين ؛ لأن السوء –هنا– سوء حسي ومعنوي، حسي لما قد يلحق الإنسان من عذاب حسي كبطش اليد بالقتل والضرب، ومعنوي لما قد يصيب الإنسان من عذاب نفسي عند رَمْيِهِ ببذيء القول وفحش الكلام، ويؤيد ذلك قول ابن عاشور: إن " عَمَل الْيَدِ الَّذِي يَضُرُّ مِثْلُ الضَّرْبِ وَالتَّقْيِيدِ وَالطَّعْنِ، وَعَمَل اللِّسَانِ الَّذِي يُؤْذِي مِثْلِ الشَّتْمِ وَالتَّهَكُّمِ. وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْله: (بِالسُّوءِ)، فَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِـ(يَبْسُطُوا) الَّذِي مَفْعُولُهُ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ." (١)

***دلالة أدوات المعاني:**

***دلالة الباء في قوله تعالى :﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾[الممتحنة:٢] :**

لما كان من معاني الباء "الإلصاق وقيل: هُوَ معنى لَا يفارقها" جاءت الباء في قوله تعالى: ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾ ؛ للدلالة على أن ألسنتهم وأيديهم متلبسة بالسوء سواء ظفروا بهم أو لم يظفروا ؛ فنفوسهم لا تضمر إلا الشر لهم ؛ وعداوتهم قديمة مستمرة في قلوبهم، ويؤيد ذلك قول صاحب حدائق الروح والريحان إن قوله تعالى:﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾:" متعلق بمحذوف حال الأيدي والألسنة، أي: حالة كونها متلبسة بالسوء." (٢)

(١) التحرير والتنوير ٢٨/ ١٤٠

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٩/ ٢٠٩

فالتعبير بالباء–هنا– يشير إلى الغضب الكامن في نفوس هؤلاء المشركين وانتظارهم فرصة لإظهاره والتعبير عنه باليد واللسان.

***دلالة (لو) في قوله تعالى:﴿ لَو تَكفُرُونَ﴾[الممتحنة:٢] :**

جاءت (لو) [١] في قوله تعالى: ﴿ لَو تَكفُرُونَ﴾ للتمني؛ لوقوعها بعد (وَوَدُّواْ) [٢] وذلك فيه "بيان لغلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لإضلال غيرهم إثر بيان كفرهم وضلالتهم في أنفسهم [٣]" إلا أنه تمنٍ من قبيل المحال ؛ لاستحالة وقوع الكفر من المؤمنين بعد الإيمان وإيثار الآخرة على الحياة الدنيا؛ فجاء التركيب ﴿ وَوَدُّواْ لَو تَكفُرُونَ ﴾ فيه : "بشرى للمؤمنين بأنه من قبيل المحال أن يقع منكم الكفر الموجب للهلاك الدائم." [٤]

فالتركيب -هنا- فيه دلالات نفسية تتمثل في:

– حالة الغضب الشديدة التي تصيب هؤلاء المشركين عند علمهم باستحالة وقوع الكفر من المؤمنين فهو أمر لن يكون ولن يتحقق مهما تمنوا وأرادوا.

---

(١) تأتي لو " للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء ...ولذلك قيل هي لامتناع الشيء لامتناع غيره ويلزم كون جملتيها فعليتين وكون الفعل ماضيًا، فدخولها على المضارع في نحو قوله تعالى: ﴿لَو يُطِيعُكُم فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلأَمرِ لَعَنِتُّم ﴾[الحجرات:٧]، لقصد استمرار الفعل فيا مضى وقتًا فوقتا." الإيضاح في علوم البلاغة ١٢٥/٢، ١٢٦

(٢) قال د فاضل السامرائي إن:" لو: للتمني، ولذا كثر وقوعها بعد ما يفيد التمني، نحو (ود) وما في معناها." معاني النحو–د. فاضل صالح السامرائي ١٦٣/٣– دار الفكر–الأردن–ط: الأولى، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م

(٣) روح المعاني للآلوسي ١٠٥/٣

(٤) نظم الدرر للبقاعي ٤٩٤/١٩(بتصرف يسير)

– حالة الهدوء النفسي التي يشعر بها المؤمنون عند علمهم بأن الله سوف يثبت قلوبهم على الإيمان.

تعقيب على المبحث :

ومن خلال ما سبق يتبين أن الدلالات الصوتية والصرفية والتركيبية تتكامل للكشف عن المعاني النفسية في الآية الكريمة التي تتمثل في :

١– شدة الرغبة عند الكافرين في إدراك المسلمين والظفر بهم، وخاصة في حالة الثقافة ؛ لما فيها من دلالة على التمكن والغلبة مع قوة الأخذ والقهر.

٢– حدة المخالطة والشدة في البطش باليد واللسان في حالة التمكن والغلبة من المسلمين.

٣– رغبة الكافرين في ارتداد المسلمين عن دينهم؛ إذ يُعد ذلك من أعظم المصائب التي تصيب المسلمين فيلحق بهم العذاب في الدنيا والآخرة، وهى رغبة قديمة تجسد غيظ قلوبهم والعداوة الكامنة في نفوسهم للمسلمين.

٤– التسرية عن قلوب المؤمنين بأن الله (ﷻ) لن يمكن منهم هؤلاء المشركين أبدًا باستعمال أداة الشك (إن) في قوله تعالى:﴿إِن يَثْقَفُوكُم﴾[الممتحنة:٢]؛ مما يشعرهم بحالة من الاستقرار النفسي فهم على دين الحق وعلى الصراط القويم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فله سبحانه الحمد والمنّة، وله الشكر على تمام النعمة، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، وعلى آله وصحبه ومن اتبع سيرته العطرة إلى يوم الدين، وبعد هذه الرحلة العلمية في رحاب القرآن الكريم، فقد أسفر البحث عن بعض **الحقائق والنتائج** منها:

- أكد البحث العلاقة المتبادلة بين اللغة والنفس البشرية، فاللغة هي مرآة النفس ؛ لذا تختلف الكلمات المعبرة عن ما يدور في نفس المتكلم حالة الغضب وحالة الخوف وحالة الطمأنينة أو السرور.

- أثبت البحث أن السلق والبسط بينهما تقارب شديد في المعنى فكلاهما من آفات اللسان إلا أن :

السلق باللسان هو: حدة اللسان مع بلاغة وفصاحة في القول ولا يكون بفحش الكلام، ولا يكون إلا في حالة الأمن من الخوف، ويقتصر فعله على اللسان.

بينما بسط اللسان فيراد به : حدة اللسان مع بذاءة القول والإكثار من فحش الكلام وقبيحه، وقد يقع باليد واللسان، ويكون في حالة الغلبة والتمكن من الخصم، فهو نوع من إظهار غاية العداوة من الخصم بعد إسرار المودة.

- أثبت البحث شيوع الأصوات المجهورة في الآيتين الكريمتين التي تتناسب مع افتضاح أمر كلٍّ من المنافق في الآية الأولى، والكافر في الآية الثانية مما كان له من سيء الأثر النفسي على كلٍّ منهما.

- أثبت البحث قلة الأصوات المهموسة في الآيتين الكريمتين ؛ للدلالة على أن كلا منهما يظهر خلاف ما يبطن من خداع ومكر بالمؤمنين، وبيان أنه مهما كان هذا الأمر خفيًّا فهو هينٌ على الله في إظهاره وإحباطه.

- بيّن البحث دلالة الأصوات المتوسطة في تأرجح كل من المنافق والكافر بين الحق والباطل.

- أثبت البحث أن للمقاطع الصوتية المغلقة في الآيتين دلالة على دنيء خلق كلٍّ من المنافق والكافر .

- بيّن البحث شيوع المقاطع القصيرة المفتوحة ؛ للدلالة على سرعة مبادرة المنافق في الاستيلاء على حق المسلم عند إتاحة الفرصة له فهو شحيح ذميم، كما بيّنت سرعة مبادرة الكافر في إيذاء المسلم في حالة التمكن والغلبة عليه .

- بيّن البحث دلالة المقاطع المتوسطة المفتوحة على انفتاح نفس الكافر والمنافق على شهوات الدنيا وترك الآخرة.

- بيّن البحث أن للصيغ الصرفية دلالة على ثبوت ودوام صفات المنافق في كل زمان ومكان حيث استعمل القرآن الصفة المشبهة في وصف المنافق بالشُّح، وحدة اللسان.

- بيّن البحث أن في استعمال جمع القلة بما فيه من دلالة على قلة العدد يدل على أن كلا من الكافرين والمنافقين عددهم قليل بالنسبة للمسلمين فمهما زاد عددهم فهم قلة قليلة لن تتجاوز عدد المسلمين أبدا.

- بيّن البحث أن في استعمال الصيغة غير المألوفة مثل (أشحة) فيها دلالة على معنى غير مألوف حيث يجسد قمة بخل النفس وحرصها الشديد حتى وصل الأمر إلى منع وجوه الخير عن الغير .

- أوضح البحث إعجاز القرآن في استعمال كلٍّ من (إن) و(إذا) الشرطية، حيث استعملت (إذا) الشرطية في الآية الأولى مع المنافق للدلالة على حصول الشرط ووقوعه التي تتناسب مع تقلب المنافق وفق الأحوال والظروف، حتى إنهم صاروا يُعرفون من طباعهم ودنيء خلقهم . و(إن) الشرطية في الآية الثانية مع الكافر ؛

للدلالة على عدم حصول الشرط ووقوعه ؛ للدلالة على أن الله لن يمكن الكافرين من المسلمين أبدا، وهذا له ما له من عظيم الأثر على نفوس المسلمين.

وبعد فقد وصلت– والحمد لله– إلى نهاية هذه الرحلة القرآنية العلمية مع كتاب الله (ﷻ) من خلال دراسة النص القرآني في ضوء علم اللغة النفسي . فإن كنت قد أحسنت وأصبت فيما صنعت وقدمت فهذا من نعم الله وجزيل فضله. وإن كان غير ذلك فالله أسأل أن يستر عيوبي ويغفر ذلتي وحسبي أنني اجتهدت قدر طاقتي ؛ ليخرج البحث على هذه الصورة. وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلِّم تسليمًا كثيرًا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١.القرآن الكريم

٢.أحكام القرآن-لأحمد بن علي أبي بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت:٣٧٠هـ)-تح: محمد صادق القمحاوي-دار إحياء التراث العربي – بيروت-١٤٠٥هـ-(د-ط-ت)

٣.إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم-لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت:٩٨٢هـ)-دار إحياء التراث العربي – بيروت-(د-ط-ت).

٤.أسباب نزول القرآن-لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت:٤٦٨هـ)-تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان-دار الإصلاح-الدمام-ط:الثانية،١٤١٢هـ-١٩٩٢ م

٥.الأصوات العربية وصف وتحليل-د/عبد التواب مرسي حسن الأكرت-المكتبة الأزهرية للتراث – ط:الأولى-١٤٣٣هـ-٢٠١٣م

٦.الأصوات اللغوية – د/إبراهيم أنيس-مكتبة نهضة مصر-(د-ط-ت)

٧.أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن-لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي(ت:١٣٩٣هـ)-دار الفكر- لبنان-(د-ط)-١٤١٥هـ-١٩٩٥ م .

٨.الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق - لـ عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت: ١٤١٩هـ)-دار المعارف-ط: الثالثة

٩.أنوار التنزيل وأسرار التأويل=تفسير البيضاوي-لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت:٦٨٥هـ)-تح:محمد عبد الرحمن المرعشلي-دار إحياء التراث العربي – بيروت-ط:الأولى-١٤١٨هـ

١٠.الإيضاح في علوم البلاغة-لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبي المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت:٧٣٩هـ)-تح:محمد عبد المنعم خفاجي-دار الجيل – بيروت-ط:الثالثة-(د-ت)

١١.بحث بعنوان (دلالة الأصوات المجهورة في خاتمة فواصل سورة البروج "دراسة تحليلية") – د/سوسن حسانين الهدهد- مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود.

١٢.بحث بعنوان (من قصص النساء في القرآن الكريم دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي)- د سوسن الهدهد -جامعة الأزهر -كلية التربية – العدد ١٦١-ج٢-٢٠١٤م

١٣.البحر المحيط في التفسير-لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)-تح:صدقي محمد جميل-دار الفكر – بيروت-(د-ط)-١٤٢٠هـ.

١٤.بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز- لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)- تح: محمد علي النجار – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة- ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م

١٥.البلاغة العربية-لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت:١٤٢٥هـ)-دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت-ط:الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦ م

١٦.بيان المعاني-لعبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت:١٣٩٨هـ)-مطبعة الترقي – دمشق-ط:الأولى، ١٣٨٢هـ-١٩٦٥ م

١٧.التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»-لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ)-الدار التونسية للنشر – تونس-(د-ط)-١٩٨٤هـ

١٨.التعريفات-لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)- تح: جماعة من العلماء ١٤٨/١- دار الكتب العلمية بيروت -لبنان- ط: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

١٩.تفسير ابن كثير-لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت:٧٧٤هـ)-تح:محمد حسين شمس الدين-دار الكتب العلمية-بيروت-ط:الأولى-١٤١٩هـ

٢٠.التَّفْسِيرُ البَسِيْط-لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت:٤٦٨هـ)-مجموعة محققين-عمادة البحث العلمي-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.-ط:الأولى، ١٤٣٠هـ

٢١.تفسير الشعراوي – الخواطر-لمحمد متولي الشعراوي (ت:١٤١٨هـ)-أخبار اليوم-(د-ط)-١٤١١هـ-١٩٩١م

٢٢.التفسير القرآني للقرآن-لعبد الكريم يونس الخطيب (ت:بعد ١٣٩٠هـ)-دار الفكر العربي – القاهرة-(د-ط-ت)

٢٣.تفسير المراغي-لأحمد بن مصطفى المراغي (ت:١٣٧١هـ)-مطبعة مصطفى البابى الحلبي -مصر-ط:الأولى، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦ م

٢٤.التفسير الوسيط للقرآن الكريم-لمحمد سيد طنطاوي-دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة-ط:الأولى-١٩٩٨م.

٢٥.التفسير الوسيط للقرآن الكريم-لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر-الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية-ط:الأولى، (١٣٩٣هـ=١٩٧٣ م)-(١٤١٤هـ=١٩٩٣ م)

٢٦.تفسير مقاتل بن سليمان-لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت:١٥٠هـ)-تح:عبد الله محمود شحاته-دار إحياء التراث-بيروت-ط:الأولى-١٤٢٣هـ

٢٧.تهذيب اللغة-لأبي منصور الأزهري الهروي (ت:٣٧٠هـ) تح:محمد عوض مرعب-دار إحياء التراث العربي – بيروت-ط:الأولى، ٢٠٠١م

٢٨.جامع البيان عن تأويل آي القرآن=تفسير الطبري-لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)-تح:د/عبد الله بن عبد المحسن التركي-دار هجر-ط:الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م

٢٩.الجامع لأحكام القرآن=تفسير القرطبي-لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)-تح:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش-دار الكتب المصرية – القاهرة-ط:الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤ م.

٣٠.الجدول في إعراب القرآن الكريم-لمحمود بن عبد الرحيم صافي (ت:١٣٧٦هـ)-دار الرشيد، دمشق-مؤسسة الإيمان، بيروت-ط:الرابعة، ١٤١٨هـ-(د-ت)

٣١.الجواهر الحسان في تفسير القرآن -لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)-تح: محمد علي معوض- عادل أحمد عبد الموجود-دار إحياء التراث العربي – بيروت-ط: الأولى - ١٤١٨ هـ

٣٢.حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن-لمحمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي-راجعه:د/هاشم محمد علي بن حسين مهدي-دار طوق النجاة، بيروت- لبنان-ط:الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١ م.

٣٣.الخصائص- لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ) - الهيئة المصرية العامة للكتاب-ط: الرابعة-(د-ت)

٣٤.دراسات صوتية في التجويد والأصوات اللغوية -د/عبد الفتاح أبو الفتوح إبراهيم - د/زينب أحمد محمد أبو النجا-مطبعة الحصري-(د-ط-ت)

٣٥.دراسات في في علم الأصوات اللغوية-د/صلاح الدين محمد قناوي -د/أحمد طه حسانين سلطان-جامعة الأزهر-ط:الثانية-١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م

٣٦.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني-لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت:١٢٧٠هـ)-تح:علي عبد الباري عطية-د ار الكتب العلمية- بيروت-ط:الأولى، ١٤١٥هـ

٣٧.زاد المسير في علم التفسير-لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ)-تح:عبد الرزاق المهدي-دار الكتاب العربي - بيروت-ط:الأولى-١٤٢٢هـ

٣٨.الزهد والرقائق لابن المبارك -لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (ت:١٨١هـ)-تح:حبيب الرحمن الأعظمي-دار الكتب العلمية - بيروت-(د-ط-ت)

٣٩.سر صناعة الأعراب-لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت:٣٩٢هـ)-دار الكتب العلمية بيروت-لبنان-ط:الأولي ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م

٤٠.سنن ابن ماجه–لابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت:٢٧٣هـ)–تح:محمد فؤاد عبد الباقي–دار إحياء الكتب العربية–فيصل عيسى البابي الحلبي–(د–ط–ت)

٤١.صحيح البخاري–لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي–تح:محمد زهير بن ناصر الناصر–دار طوق النجاة–ط:الأولى، ١٤٢٢هـ

٤٢.علم الصوتيات–د/عبد العزيز أحمد علام–د/عبد الله ربيع محمود–مكتبة الرُّشد –الرياض–(د–ط)–١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.

٤٣.علم اللغة النفسي – د/ عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي– مكتبة الملك فهد الوطنية – الطبعة الأولى –١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م

٤٤.علم النفس اللغوي د/ نوال محمد عطية – المكتبة الأكاديمية –ط: الثالثة– ١٩٩٥م–

٤٥.العين–لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت:١٧٠هـ)–تح:د/مهدي المخزومي، د/إبراهيم السامرائي–دار ومكتبة الهلال–(د–ط–ت)

٤٦.غريب القرآن–لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت:٢٧٦هـ)– تح:أحمد صقر–دار الكتب العلمية –(د–ط)–١٣٩٨هـ–١٩٧٨ م

٤٧.فتحُ البيان في مقاصد القرآن – لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت:١٣٠٧هـ)–راجعه:عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري–المَكتبة العصريَّة، صَيدَا – بَيروت–(د–ط)–١٤١٢هـ– ١٩٩٢ م

٤٨.الفروق اللغوية – لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت:نحو ٣٩٥هـ)– تح:محمد إبراهيم سليم–دار العلم والثقافة للنشر–(د–ط)–١٤١٨هـ–١٩٩٧م.

٤٩.فقه اللغة وسر العربية–لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبي منصور الثعالبي(ت:٤٢٩هـ)–تح:عبد الرزاق المهدي–إحياء التراث العربي–ط:الأولى ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م

٥٠.الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها– ليوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبي القاسم الهُذَلي اليشكري المغربي (ت: ٤٦٥هـ)– تح :جمال بن السيد بن رفاعي الشايب– مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

٥١.الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد– للهمذاني(ت: ٦٤٣ هـ)– تح:محمد نظام الدين الفتيح–دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة –ط:الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م

٥٢.الكتاب–لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر،الملقب سيبويه(ت:١٨٠هـ)–تح:عبد السلام محمد هارون–مكتبة الخانجي، القاهرة–ط:الثالثة،١٤٠٨هـ–١٩٨٨ م

٥٣.الكشف والبيان عن تفسير القرآن–لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق (ت:٤٢٧هـ)–تح:الإمام أبي محمد بن عاشور–راجعه:نظير الساعدي– دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان–ط:الأولى ١٤٢٢،هـ–٢٠٠٢ م

٥٤.لباب التأويل في معاني التنزيل–لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبي الحسن، المعروف بالخازن (ت:٧٤١هـ)–تح:تصحيح محمد علي شاهين–دار الكتب العلمية – بيروت–ط:الأولى–١٤١٥هـ–

٥٥.لسان العرب-لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت:٧١١هـ)-دار صادر – بيروت-ط:الثالثة-١٤١٤هـ

٥٦.محاسن التأويل-لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت:١٣٣٢هـ)-تح:محمد باسل عيون السود-دار الكتب العلميه-بيروت-ط:الأولى-١٤١٨هـ

٥٧. محاضرات مقياس علم النفس اللغوي – د/ العبادي عبد الحق-الجزائر – جامعة ابن خلدون -٢٠٢١/٢٠٢٢م

٥٨.المحكم والمحيط الأعظم-لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت:٤٥٨هـ)-تح:عبد الحميد هنداوي-دار الكتب العلمية – بيروت-ط:الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠ م

٥٩.المحيط في اللغة-للصاحب ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني(ت:٣٨٥)-تح:محمد حسن آل ياسين-عالم الكتب-بيروت/لبنان-ط:الأولى-١٤١٤هـ-١٩٩٤ م

٦٠.مسند أبي داود الطيالسي-لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى(ت:٢٠٤هـ)-تح:د/محمد بن عبد المحسن التركي-دار هجر- مصر-ط:الأولى،١٤١٩هـ-١٩٩٩ م

٦١.مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ-لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي (ت:٨٨٥هـ)-تح:عبد السميع محمد أحمد حسنين-مكتبة المعارف- الرياض-ط:الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٧ م.

٦٢.معالم التنزيل في تفسير القرآن=تفسير البغوي-لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت:٥١٠هـ)-تح:محمد عبد الله النمر-عثمان جمعة ضميرية-سليمان مسلم الحرش-دار طيبة-ط:الرابعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧ م

٦٣.معاني القرآن وإعرابه-لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج (ت:٣١١هـ)-تح:عبد الجليل عبده شلبي-عالم الكتب – بيروت-ط:الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨ م

٦٤.معاني النحو-د. فاضل صالح السامرائي-دار الفكر-الأردن-ط:الأولى،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م

٦٥.معترك الأقران في إعجاز القرآن-لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت:٩١١هـ)-دار الكتب العلمية-بيروت – لبنان-ط:الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨ م

٦٦.المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)-د. محمد حسن حسن جبل-مكتبة الآداب– القاهرة-ط:الأولى، ٢٠١٠م.

٦٧.معجم البلدان- لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)(٢/ ٣٣٥)- دار صادر، بيروت- ط: الثانية، ١٩٩٥ م

٦٨.معجم الفروق اللغوية- لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)-تح : الشيخ بيت الله بيات-مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»-ط: الأولى، ١٤١٢هـ

٦٩. معجم اللغة العربية المعاصرة-د أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت:١٤٢٤هـ)-عالم الكتب-ط:الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨ م

٧٠.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب-لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف،أبي محمد، جمال الدين، ابن هشام(ت:٧٦١هـ)-تح:د. مازن المبارك – ود/محمد علي حمد الله-دار الفكر- دمشق-ط:السادسة، ١٩٨٥م.

٧١.مفاتيح الغيب=التفسير الكبير-لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي(ت:٦٠٦هـ)-دار إحياء التراث العربي- بيروت-ط:الثالثة-١٤٢٠هـ

٧٢.المفردات في غريب القرآن-لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى(ت:٥٠٢هـ)-تح:صفوان عدنان الداودي-دار القلم، الدار الشامية-دمشق بيروت-ط:الأولى-١٤١٢هـ.

٧٣.مقاييس اللغة-لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت:٣٩٥هـ) تح:عبد السلام محمد هارون-دار الفكر-١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٧٤. من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم – د/ محمد أمين الخضري-مكتبة وهبة -ط:الأولى -١٤٠٩هـ-١٩٨٩م

٧٥.الموسوعة القرآنية، خصائص السور - لجعفر شرف الدين- تح : عبد العزيز بن عثمان التويجزي- دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت- ط: الأولى - ١٤٢٠ هـ

٧٦.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور-لـ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت:٨٨٥هـ-١٤٨٠م)-دار الكتاب الإسلامي، القاهرة-(د-ط-ت).

٧٧.النهاية في غريب الحديث والأثر-مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير (ت:٦٠٦هـ)-تح:طاهر أحمد الزاوى-ومحمود محمد الطناحي-المكتبة العلمية – بيروت-(د-ط)، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م